صفحات من مذكرات

نجيب الريحاني

زعيم المسرح الفكاهي

إعداد

محمد عبد الفتاح صادق

الكتاب: صفحات من مذكرات نجيب الريحاني

الكاتب: مُحَمَّد عبد الفتاح صادق

الطبعة: ٢٠٢١

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)



٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة

جمهورية مصر العربية

هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥

فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

http://www. bookapa.com **E-mail: info@bookapa.com**

دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر

صادق، مُحَمَّد عبد الفتاح

صفحات من مذكرات نجيب الريحاني / مُحَمَّد عبد الفتاح صادق

– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.

١٨٩ ص، ١٨*٢١ سم.

الترقيم الدولى: ٩ – ٠٨ – ٦٨٣٧ – ٩٧٧– ٩٧٨

أ – العنوان رقم الإيداع : ١٣٧٠١ / ٢٠٢٠

صفحات من مذكرات

نجيب الريحاني





مقدمة

تحت عنوان "راحة إجبارية" كتب الفنان الكبير الراحل نجيب الريحاني في الورقة قبل الأخيرة من مذكراته ثلاثة أسطر :

"وأحسست بعد الانتهاء من فيلم "غزل البنات" أن المكابرة لم تعد تنفع وأنه لابد لي من الاستجمام إذا أردت أن أعيش. ولما كان العبد لله يحب الحياة (موت) فقد آثرت أن أستجم وأن أمتنع عن التمثيل إلى أن تتحسن صحتي".

يبدو أنه استشعر اقتراب نهايته، فأرجع تعبه وإرهاقه إلى كثرة العمل، ففي هذا الوقت (عام ١٩٤٩) كان قد بلغ الستين قضى منها خمسة وثلاثين في مجال الفن قدم خلالها أكثر من ثمانين مسرحية وتسعة أفلام كان آخرها "غزل البنات"، لذا أرجع متاعبه إلى ما يسببه العمل الفني من إرهاق، حرصه على الحياة التي يحبها دفعه لأن يستريح قليلا حتى يلتقط أنفاسه، لم يكن قراره أن يبتعد نهائيا لذا كتب " آثرت أن أستجم وأن أمتنع عن التمثيل إلى أن تتحسن صحتي".

لكن صحته لم تتحسن فغادر دنيانا في الثامن من يونيو ١٩٤٩.

وكان الريحاني قد بدأ نفس المذكرات بأسطر قليلة تحت عنوان " موظف.. وغاوي تمثيل " ذاكرا أنه "في عام ١٩١٤ بدأت صلتي بالمسرح، فرغم أنني كنت موظفا في شركة السكر نجع حمادي إلا أنني كنت صديقا

شخصيا لكبار الممثلين في ذلك العهد، وكنت أجد لذة كبيرة في زمالة هؤلاء الممثلين.. ولو أنها كانت حتى ذلك الحين مجرد زمالة من غير تمثيل.. وكنت كثيرا ما أمضي أوقات فراغي متنقلا بين قهوة برنتانيا – التي كانت بمثابة ناد للفنانين العاطلين – وبين مسارح عماد الدين، وكان من أصدقائي في ذلك الزمان الغابر الخواجة سليم أبيض، شقيق جورج بك أبيض، والمرحوم عزيز عيد والزميل استيفان روستي وغيرهم.. وكنت أنا بالنسبة لهؤلاء كالمليونير بالنسبة لفقراء الهند.. فقد كنت موظفا أنال مرتبا شهريا وأنا أضع ساقي فوق الأخرى.. أما أغلبية الممثلين وقتذاك فكانوا يحصلون على مرتباتهم كل حين ومين"..

هكذا دفعه حبه للفن أن يغامر بحياة وظيفية كانت أيامها مستقرة وتحقق له دخلا لا يحققه الفن فبدا بالنسبة لزملائه الفنانين كالمليونير بالنسبة لفقراء الهند، وربما دفعه لذلك رغبته في الاقتداء بالفنان عزيز عيد الذي زامله في العمل لكن سبقه بست سنوات في للاستقالة واختيار طريق الفن.

سيرة حياة

إسمه في شهادة ميلاده "نجيب إلياس ريحانة" أما اسمه الفني الذي يعرف به إلى اليوم وبعد سبعين عاما من وفاته فهو "نجيب الريحاني". وقد ولد الريحاني في عام ١٨٨٩ بالقاهرة، لأب عراقي مسيحي وأم مصرية قبطية، كان أبوه يعمل تاجرا للخيل، وقد نشأ الطفل في منطقة باب الشعرية، فتعايش مع الطبقات الشعبية الفقيرة والبسيطة، وكان الريحاني

شديد الارتباط بأمه، التي أورثته الحس الفكاهي الذي عرف به، فكان يسخر كما كانت تسخر هي من المتناقضات الاجتماعية التي يعج بها المجتمع المصري في تلك الفترة، إلا أنه كان يمارس هذه السخرية بخجل، فقد كان الريحاني صاحب شخصية انطوائية، لا يخالط الناس كثيرًا ويميل لحياة العزلة أو يتحرك في سط دائرة ضيقة من الأصدقاء قليلي العدد. أدخله أبوه مدرسة الفرير، حيث أجاد اللغة الفرنسية، واستمر في دراسته بها حتى حصل على شهادة البكالوريا (تعادل الثانوية العامة الآن)، إلا أنه لم يتمكن من الالتحاق بالجامعة ولم يكمل تعليمه بسبب تدهور مفاجىء أصاب تجارة والده، فاكتفى بالبكالوريا، ليس ذلك فقط بل وجد الريحاني نفسه مضطرا للعمل من أجل مساعدة أسرته، فعمل كاتبًا للحسابات بشركة السكر بنجع حمادي بالصعيد، وكانت ضمن ممتلكات رجل الاقتصاد المصري الشهير عبود باشا.

وكان الريحاني حينها يتقاضى راتبًا شهريا يصل إلى ستة جنيهات، وكان مبلغا لا بأس به فقد كان يكفي نظرائه ليحيون حياة متوسطة مع أسرهم، إلا أن طموحه الفني حال دون أن تشبع هذه الوظيفة رغبته فقرر أن يتركها، وكانت مغامرة غير مضمونة، وكانت خطوة الثانية أكثر منها في المغامرة إذ اشترك مع صديق له يدعى مُحَّد سعيد وكان من هواة فن التمثيل، فاقترح على الريحاني أن يكونا معًا فرقة مسرحية تقدم اسكتشات خفيفة لجماهير الملاهي الليلية في شارع عماد الدين. وما أن بدأ الريحاني مشواره الفني حتى لمع نجمه، واشتهر بين الناس، لما يملكه من موهبة تمثيلية وحس فكاهي، وقد تزوَّج الريحاني من الراقصة سورية الأصل "بديعة

مصابني" وكانت صاحبة الفرقة التي بدأ معها مشوارة الفني، كما كانت صاحبة كازينو شهير في عماد الدين بالقاهرة، ولم يستمر زواجهما بسبب غيرتها عليه.

بعد انفصاله عن بديعة تزوج من "لوسي دي فرناي" وهي راقصة فرنسية التقاها في مصر فأحبها وتزوجها سرا خشية رد فعل بديعة مصابني، وأنجب منها ابنته الوحيدة جينا التي ظهرت فجأة منذ نحو خمس سنوات لتعلن انها ابنة الفنان الشهير.

الرحيل والمذكرات

تحديدا فى الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الأربعاء الموافق ٨ يونيو ١٩٤٩ وفى المستشفى اليونانى الذى لا يزال قائما إلى اليوم بحى العباسية، وفى الغرفة رقم ٤٨ بالدور الثاني من المستشفى، كان الفنان نجيب الريحاني يستعد لتناول الدواء الجديد الذى وصله بالطائرة من الخارج، وما إن مرت عشر دقائق على تناوله العلاج، حتى أصيب بألم حاد فى كل جسده، وسرعان ما طفح الدم من فمه وأغرق فراشه، وقبض الريحانى بأصابعه على الفراش يصارع الموت، قبل أن يخمد جسده وترتخى يداه، ثم أسلم الروح، دون أن تكون هناك فرصة ليتكلم آخر كلماته فى الحياة، بعدما ظل لثلث قرن يتحرك ويتوهج على خشبة مسرحه.

وكان نجيب الريحاني قد أوشك على الانتهاء من تصوير المشاهد التي تخصه في فيلم "غزل البنات" فعُدلت نهاية الفيلم قسرًا، حتى يتم عرضه، ولاقى الفيلم نجاحًا كبيرًا بل إنه اعتبر واحدا من أحسن الأفلام التي

عرضت في تاريخ السينما المصرية، وشغل المرتبة التاسعة في قائمة أحسن مائة فيلم مصري.

وكان الريحاني قد بدأ كتابة مذكراته قبل رحيله بسنتين ونشرها على حلقات في مجلة "الإستوديو" التي كان يرأس تحريرها صديقه " أنور عبدالله"، وقد أصدرها في كتاب بعد رحيل صاحبها بشهرين. وقد أعدها للنشر فوزي العنتبلي وهو أيضا واحد من أقرب الأصدقاء لنجيب الريحاني في كتاب "مذكرات نجيب الريحاني... زعيم المسرح الفكاهي" الصادر في أغسطس١٩٤٩ عن دار "الجيب" بالقاهرة، بمراجعة بديع خيري وإبراهيم العشماوي وأنور عبدالله.

كل ذلك يؤكد صحة نسبة تلك النسخة من المذكرات إلى نجيب الريحاني.

وقد أعادت مجلة "الكواكب" نشر الحلقات السابق نشرها في مجلة " الاستوديو" منذ ٣ يونيو ١٩٥٢، وحتى ٤ نوفمبر ١٩٥٢، وبعد اكتمالها نُشرت في أحد أعداد سلسلة كتاب الهلال، وأعيد طبعها ثانية في يونيو ١٩٥٩ بمناسبة حلول الذكرى العاشرة على وفاة صاحبها. وقد صدرت نسخة دار الهلال في طبعتيها بمقدمة كتبها بديع خيري، بينما النسخة الأولى الصادرة عن دار الجيب صدرت بمقدمة موجزة كتبها الريحاني بنفسه ونصها : " هذه سطور حياتي، بحلوها ومرها بهنائها وشقائها، بكأسها المترعة وكأسها الفارغة.. إنها تسلية للذين أحبوني وشاقهم بأن يروا صورتي بغير ماكياج وتذكرة للذين سيحيون من بعدي حينما يروق لهم أن يطالعوا

قصة دراما ضاحكة عذابها أعذب من راحتها".

وطريقة نجيب الريحاني في الحديث العادي تبدو طاغية ومؤثرة على طريقة صياغته للمذكرات، كما يتجلى في تلك الفقرة : "وكنت قد أصبحت على الحديدة، وكنت إلى جانب ذلك أحب فتاة فرنسية اسمها لوسي، كانت تشتهي أن تشاهد الروايات التي كانت تقدمها بعض الفرق الأجنبية على مسرح الكورسال – مكان داود عدس الآن بشارع الفي بك – وقد حدث ذات يوم أن خلا جيبي إلا من اثنى عشر قرشا فقط... اثنى عشر قرشا كانت كل ما أملك.. اشتريت تذكرتين أعلى التياترو بعشرة قروش، وبقي في جيبي قرشان.. وكان الجوع يقرصنا ونحن داخل المسرح.. فطلبت كوبية شاي بالقرشين الباقيين.. فلما أحضره الجرسون شربته بدون سكر.. ووضعت السكر في حقيبة لوسي.. وتسألني عن السر في الاحتفاظ بالسكر فأقول لك أننا كنا نملك شايا وخبزا في المنزل، ولكن لم يكن لدينا سكر.. فالاحتفاظ بالسكر سيوفر لنا عشاء مؤلف من الشاي والخبز".

وتحفل المذكرات بالطرائف، مما يجعل كل صفحة منها متعة، حيث يتندر الريحاني على حالة وإفلاسه المستمر بعد أن يترك الفرق التي يعمل معها، ويروي بأسلوب طريف انبهاره بالنعمة والثراء الذي حل بإستيفان روستي الممثل الذي اشتهر بأداء أدوار اليهودي أو الشخص الشرير الماكر، فيروي في المذكرات أنه في أول يونيو عام ١٩١٦ وجد زميل الشقاء والعناء وقد حلت به مظاهر الثراء الأرستقراطي: "إيه يا ولد النعمة اللي ظهرت على جتة اللي خلفوك دي. ومنين العز ده كله، تكونش (سطيت) على البنك الأهلي؟"... وكان السر كبارية "لابيه دي روز" الذي

كان يمنحه ستون قرشا كل ليلة.. يقول الريحاني في مذكراته: "يا نهار أبوك زي الكرنب يا استيفان يا روستي؟ ستون قرشا في الليلة يعني قد ماهية العبد لله في شهر.". و طلب منه الريحاني أي عمل للخروج من حالة الإفلاس. وبالفعل كانت بداية الطريق لشخصية كشكش بك، التي بدأت بحلم رآه الريحاني به شيخ يرتدي عمامة ريفية كبيرة والجبة والقفطان، فقام وأيقظ شقيقه ليملي عليه تفاصيل الشخصية وخلفيتها "عمدة من الريف وفد إلى مصر ومعه الكثير من المال فالتف حوله فريق من الحسان أضعن ماله وتركنه على الحديدة. فعاد إلى قريته يعض بنان الندم. ويقسم أغلظ الأيمان أن يثوب إلى رشده. وألا يعود إلى ارتكاب ما فعل".

ظهرت فكرة الشخصية حيث كان الخواجة الإيطالي روزاتي صاحب ملهى "الابيه دي روز" على وشك اتخاذ قراره بإغلاق الملهى، لكن استيفان روستي طلب أن يتمهل لعل كشكش بك يعيد الجمهور للمسرح. وبالفعل وضع الريحاني أول روايات كشكش بك عمدة كفر البلاص، تحت عنوان "تعالي لي يا بطة".

في كل حكاية نستشعر صوت الريحاني الخاص في رواية ما مر به من مواقف وصعاب وعلاقته بالفنانين والشعراء والممثلين آنذاك، ومنهم سيد درويش وبديع خيري وعلي الكسار ويوسف وهبي، فتحية أحمد ومُحَمَّد عبد الوهاب. ورغم كل ما عاناه فستجد كيف كان الفنان يعشق فنه محاولا دائما لوم نفسه ومحاسبتها: ماذا قدمت للفن؟

ويقول الريحاني في ختام مذكراته مستخلصاً العبرة الأهم من حياته

"حين أتفرغ لعملي أجد النجاح يواتيني والحظ مقبلاً علي... أما إذا اتجهت بقلبي إلى شيء آخر... أو إذا ساقت لي الظروف غراما طائشا... فإنه يخلع نعليه؛ ليجعل من رأسي منفضة لهما.. والعياذ بالله".

تشييع الجثمان

فى تمام الساعة الرابعة والنصف من يوم الخميس الموافق **٩** يونيو **١٩٤٩** أقيمت الصلاة على نجيب الريحانى بكنيسة السريان الكاثوليك بشارع الظاهر بالعباسية، ثم انتقل الجثمان إلى محطة كوبرى الليمون (ميدان رمسيس حاليا)، حيث أقيم سرادق العزاء، ثم سارت الجنازة حتى ميدان الأوبرا، قبل أن يتم نقل الجثمان بالسيارات إلى مقابر السريان الكاثوليك (بالقرب من محطة مترو أنفاق الملك الصالح حاليا).

وكانت تلك الجنازة هي ثاني أضخم جنازة تشهدها القاهرة بعد جنازة الزعيم سعد زغلول التى شاركت فيها جماهير غفيرة، فقد خرج سكان القاهرة بالكامل يودعون نجيب الريحانى، وفى مقدمة الجنازة كان مندوب عن الملك فاروق، وفنانون، وطلبة جامعة، وسياسيون، ووزراء، ونواب، وشيوخ. وكان حول الجنازة وفوق الأرصفة وفى شرفات المنازل رجال ونساء وشباب وشيوخ وأطفال يبكون ويصرخون، ويترحمون على نجيب الريحانى.

محمَّد عبد الفتاح صادق

الفصل الأول

موظف.. وغاوي تمثيل!

في عام ١٩١٤ بدأت صلتي بالمسرح، فرغم أنني كنت موظفا في شركة السكر نجع حمادي إلا أنني كنت صديقا شخصيا لكبار الممثلين في ذلك العهد، وكنت أجد لذة كبيرة في زمالة هؤلاء الممثلين.. ولو أنها كانت حتى ذلك الحين مجرد زمالة من غير تمثيل..!

وكنت كثيرا ما أمضي أوقات فراغي متنقلا بين قهوة برنتانيا – التي كانت بمثابة ناد للفنانين العاطلين – وبين مسارح عماد الدين، وكان من أصدقائي في ذلك الزمان الغابر الخواجة سليم أبيض، شقيق جورج بك أبيض، والمرحوم عزيز عيد والزميل استفان روستي وغيرهم..

وكنت أنا بالنسبة لهؤلاء كالمليونير بالنسبة لفقراء الهند.. فقد كنت موظفا أنال مرتبا شهريا وأنا أضع ساقي فوق الأخرى.. أما أغلبية الممثلين وقتذاك فكانوا يحصلون على مرتباتهم كل حين ومين..

رأس مالي ٢٥ جنيها

ولكن هذه الحياة (الفقرية) استهوتني مع ذلك.. وليس يشعر بلذة هذه الحياة إلا من مارسها.. خصوصا إذا كان موظفا سجينا في زنزانة الروتين مثلما كنت..!

لذلك لم أشعر بأي أسف حينما قدمت استقالتي من وظيفتي بشركة السكر.

وبدأت أواجه الحياة وفي جيبي ٢٥ جنيها لا غير، هي كل ما نلته من شركة السكر مكافأة لي عن مدة خدمتي بها.. ورحت وأنا أمشي في شوارع القاهرة أفكر في ميزانية تحفظ لي هذا المبلغ أطول مدة ممكنة.. ميزانية توفر لي السكن والطعام والشراب وفنجان القهوة والسيجارة حتى أجد عملا..!

وكانت يدي وهي تعبث بهذا الرأسمال في جيبي تخشى عليه من الهواء..!

٢٥ جنيها كانت حتى ذلك الوقت أملي ورجائي في الحياة..!

الرأسمال يطير!

ولم يكن هناك مكان بالذات أتوجه إليه.. فرأيت أن أمضي بعض الوقت في الدردشة مع سليم أبيض – وكان حينئذ يدير فرقة أبيض وحجازي بمسرح عباس – مكان سينما الكوزمو الآن – وكنت معتزمه أن أعرض عليه خدماتي مؤملا أن يدخلني في زمرة ممثلي الفرقة..!

وقابلني سليم أبيض متجهم الوجه فسألته :

– مالك.. ؟

– مفيش.. بس مزنوقين شويه في ماهيات الممثلين..

ورأيت أن الفرصة غير سانحة للتحدث معه عن رغبتي في العمل بالفرقة.. وقبل أن انهض منصرفا.. قال لي..

– اسمع يا نجيب..

– نعم.. ؟

– معاك ٢٥ جنيه سلف لحد بكره ؟

وانتفضت كما لو كان قد لدغني ثعبان..

إن كل ما أملكه من حطام الدنيا ٢٥ جنيها..!

٢٥ جنيها فقط لا غير..

ليس لي مأوى.. وليس هناك مورد اعتمد عليه في معيشتي إلا هذا المبلغ! ونظرت إلى سليم أبيض نظرة المرتاب ويدي على جيبي.. وكرر هو قوله :

– لحد بكره بس..

وطمأنتني كلمة " بكره " قليلا.. فقلت له لأستزيد طمأنينة :

– بكره.. ؟

– ايوه بكره.. تعال خدهم مني على داير مليم..

وقلت له :

– بقى اسمع يا خواجه سليم.. أنا حا اديلك المبلغ.. لكن قبل كده لازم نعرف أن كل ما امتلكه ٢٥ جنيه بس.. ومش باين اني حا امتلك غيرهم لأني أصبحت خالي شغل.. فهل أنت متأكد أنك حاترجع لي المبلغ بكره.. ؟

فأجابني وهو يقبلني في وجنتي :

– متأكد.. ؟ طبعا متأكد.. ابقى تعالى خد ايراد الشباك يا سي نجيب!

وأخرجت من جيبي مبلغ الخمسة والعشرين جنيها، أعطيت الخواجه سليم منها ٢٤ واستبقيت جنيها واحدا لي..

وقد رضي سليم أن يترك لي الجنيه بعد أن افهمته أنني سأدفع منه ثمن طعامي وأجرة اللوكاندة، حتى يرد لي المبلغ الذي اقترضه في اليوم التالي..

وفي اليوم التالي ذهبت إلى مسرح أبيض وحجازي لاسترد المبلغ.. وقابلني سليم أبيض قائلا :

– اظن عايز المبلغ.. ؟!

– طبعا.. أنت مش قلت على النهارده.. ؟

– والله يا نجيب ياخويا الشباك موفيهش ولا خمسه صاغ.. تعالى بكره..

وشعرت بالأسف لأول مرة في حياتي.. على أنني أضعت من يدي ثروة المستقبل..

وفي اليوم التالي تكررت كلمة " تعالى بكره "، وظلت هذه الكلمة هي التحية التي أتلقوها من سليم أبيض كلما ذهبت إليه.. وكنت قد أفلست.. فعرض علي أن أعمل في الفرقة.. وقبلت طبعا..!

فلس مركب!!

وبدأت أعمل مع الفرقة في الأدوار البسيطة.. وكان سليم أبيض وجورج أبيض يبديان اعجابهما ببراعتي الفائقة في التمثيل.. ولم يخف على ذكائي أنهما كانا مرغمين على هذا الإعجاب بسبب المبلغ الذي لم أكن قد تحصلت منه على أكثر من جنيهات معدودة على أقساط يومية.. كان أضخمها يتراجع عند رقم الثلاثين قرشا..

وكنت أعتبر نفسي رغم ذلك ممثلا فاشلا.. لأن الجمهور كان يضحك من تمثيلي لأدوار الدرام.. التي تبكي الناس.. أو المفروض أنها تبكيهم..!

وكان الممثلون في الفرقة لا يتقاضون أجورا ولا مرتبات.. بل كنا نعمل بالأسهم إذا دخل " الشباك " إيراد وزعوه علينا.. وكان أكبر مبلغ يقبضه أحدنا لا يزيد عن ستة أو سبعة قروش..!

أصبحت عاطلا

وقد صدق رأيي في نفسي.. إذ بعد أن حصلت على نقودي التي اقترضتها لفرقة أبيض وحجازي.. نقودي التي دفعتها جنيهات وقبضتها ملاليم.. صارحني جورج أبيض بك برأيه في.. وهو أنني ممثل فاشل لا أصلح حتى للقيام بالأدوار البسيطة.. وقررت الفرقة بناء على ذلك الاستغناء عن خدماتي وخرجت من المولد بلا حمص.. مع أنني دخلته وفي جيبي ٢٥ جنيها..!

وهكذا أصبحت خالي الوفاض من كل شئ.. فلا عمل.. ولا نقود

تطمئنني على المستقبل.. ولكن الحياة كانت حلوة وقتئذ.. فكنت أشاطر زملائي الممثلين العاطلين جلستهم على قهوة برنتانيا.. التي كان يملكها رجل يوناني يدعى بركلي.. وكانت هي محلنا المختار الذي يتحملنا عند الشدائد.. وكان صاحب القهوة رجلا يحب التمثيل والممثلين.. لله في لله.. فكان يعطينا ما نطلب ولا يشكو من تضخم حساب " الشكك " أبدا..!

النجدة

وكان زبائن القهوة العاطلين من الممثلين أنا.. وعزيز عيد.. واستفان روستي، وأمين عطا الله، والمرحوم أمين صدقي – الذي كان إلى ذلك الوقت اكتفى بترجمة المسرحيات للفرق التمثيلية – والمرحوم عبداللطيف المصري وغيرهم..

ولم يكن هناك أمل في أن نحصل على قوتنا إلا إذا ألفنا فرقة منا.. وراقت لنا الفكرة فلدينا المؤلف وهو أمين صدقي، ولدينا الممثلون وهم نحن، ولكن خفيت عنا المشكلة الكبرى.. وهي.. المال..!

كيف نؤلف فرقة بلا مسرح ولا ملابس.. ولا مناظر.. وما معنا جميعا من نقود قد لا يكفي لشراء سيجارتين " كيورك ".. ؟!

وهنا وسدنا الفكرة قبرها وطرحنا الأمل العسير بعيدا..

وذات يوم جاءت النجدة.. جاءت ممثلة في شخص صاحب القهوة الذي يحب الفن والفنانين.. لله في لله..

فقد كان الرجل يعجب من أمرنا.. كيف نمضي كل وقتنا على القهوة

بلا عمل.. وعددنا يقرب من عشرة أشخاص..!

ولما استوضحنا عن السبب قلنا له أننا نحتاج إلى المال لاستئجار المسرح وما إليه..

وسألنا الرجل :

– عايزين كام.. ؟

وقلنا :

– عشره جنيه..

وزاد عجب صاحب القهوة وهو يقول :

– بس.. ؟! عشره جنيه بس.. ؟! كلكم قاعدين بقى لكم شهر.. علشان عشره جنيه بس.. ؟!

فقلنا : ايوه بس..

وعاد صاحب القهوة يقول :

– طيب أنا اديكم العشرة جنيه..!

وكانت هذه الجنيهات العشرة بمثابة النور الذي أضاء لنا طريق الأمل..!

صحيح أنها لم تكن تكفي لتأليف فرقة واستئجار المسرح والملابس والمناظر ولكنها كانت كافية لأن نبدأ الطريق.. والقشة في عين الغريق باخرة..!

ووضعنا العشرة جنيهات على المائدة بيننا.. ورحنا نضع ميزانية دقيقة للفرقة الجديدة.. ميزانية تعطينا المسرح في مقابل العشرة جنيهات بأكملها.

وكانت عملية شاقة.. وأقصد بها مسألة موازنة رأس المال هذا بالمسرح الذي نحتاج إليه..

وهدانا التفكير بعد لأي إلى مسرح الشانزليزيه بالفجالة..!

ولم يكن مسرحا بالمعنى المفهوم.. كان أشبه شئ بجراج أو حظيرة للمواشي حتى موقعه لم يكن من المواقع التي تصلح لقيام مسرح عليه القيمة..!

ولم يكن أمامنا حل آخر.. فرضينا أن نعمل على هذا المسرح حتى إذا انتعشنا قليلا انتقلنا إلى مسرح آخر ملائم..!

وهكذا تكونت فرقتنا الأولى.. وعقد لواؤها للمرحوم عزيز عيد.. كما انضمت إلينا السيدة روزاليوسف..

وبدأنا نعمل على مسرح الشانزليزيه الهزيل.. كشركاء مساهمين.. لكل منا نصيب في الربح والخسارة..

وكنا نقدم حينذاك روايات " الفودفيل " التي كان يترجمها لنا المرحوم أمين صدقي ترجمة تكاد تكون حرفية حرفية.. وكنا نتصرف فقط في أسماء الروايات، فنضع لها أسماء شعبية تكفل اقبال جماهير حي الفجالة والاحياء الشعبية المجاورة.. مثل : " سهرة بنت دين كلب " و " ياست ماتمشيش كده عريانه " و " ضربة مقرعة " و.. و.. الخ..

ونجحت فرقتنا نجاحا كبيرا نسبيا.. ولم أكن راضيا عن الادوار التي تسند إلي.. لا لأنها أدوار تافهة فقط.. بل لأنها كانت أدوارا فكاهية لا ترضي ميلي فقد كنت أميل إلى تمثيل الدرام.. وكان رأيي في نفسي أنني شخص ثقيل الدم لا أصلح للأدوار الكوميدية..

ولكن المرحوم عزيز عيد أصر على أن أواصل تمثيل الأدوار الفكاهية... وقبلت كارها في سبيل العيش..!

النجاح يحالفني

وانتعشت حالنا الاقتصادية بعض الشئ.. ففكرنا في الانتقال إلى مسرح يليق بفرقة ناجحة..كان أن انتقلنا إلى مسرح " الاجبسيانا " – وكان يقع مكان السينما التي تبنى الآن بجوار سينما استديو مصر – بشارع عماد الدين..كان مسرحا شائخا باليا حقيقة.. ولكنه كان يقع في شارع عماد الدين.. وما أدراك ما شارع عماد الدين في ذلك الزمان..!

وفي هذا المسرح العتيق ذقت حلاوة النجاح لأول مرة.. وودعت أملي في أن أصبح ممثلا تراجيديا غير آسف..

وبدأ نجاحي الحقيقي عندما مثلت دور " فوشيه " في رواية " خللي بالك من أميلي "..

فقد جعلني هذا الدور ممثلا كوميديا ثابتا.. بعد أن كنت خارج الهيئة!!

عودة إلى البطالة!

ولكن ما أصعب النجاح..

لم يطل بنا الأمر في مسرح " الاجبسيانا " حتى عدنا صفر الايدي من جديد! وبعد أن كنا في " الطالع " أصبحنا في " النازل "

كان الجمهور قد مل مشاهدة رواياتنا التي كررناها مرارا وأعدنا تمثيلها تكرارا.. أضف إلى هذا أن هذه الروايات لم تكن محلية لا قلبا ولا قالبا.. مما يستسيغ الجمهور أن يراه مرة فوق مرة.. بل كانت كلها مسرحيات كوميدية مترجمة بالنص كما قلت.. ولذلك بدأ الجمهور ينصرف عنا..

وبعد فترة وجيزة كان علينا أن نلقي السلاح..

وعدنا إلى قواعدنا في قهوة الطيب الذكر " بركلي " ننعي العشرة جنيهات!

البورصة تصعد

وفي الفترة التي مرت بي عقب فشل مشروعنا.. عادت بي الذاكرة إلى عهد الوظيفة.. ورحت اتحسر على الماضي.. يوم أن كنت أقبض مرتبا ثابتا وأنا أضع ساقي اليمني على ساقي اليسري.. وبدأت ألعن قلة عقلي التي جعلتني استند على " حيطة مايله ".. هي التمثيل..!

ومكثت شهورا اتحسر..

وفي يوم جاءني الزميل استفان روستي يعرض على عملا بمسرح " الابيي دي روز "..

فتنفست الصعداء..!

شغلة هايفه..!

كان استفان قد حصل على عمل في مسرح الابيي دي روز الذي كان يقع مكان محل داود عدس بشارع عماد الدين الآن.. وكان عمله ينحصر في تقديم نمرة كخيال الظل مع إحدى راقصات الفرقة.. من خلف ستار تطلق عليه الأضواء، ذلك لأن مسرح الابيي دي روز لم يكن يقدم روايات تمثيلية.. بل كان يكتفي بالنمر الاستعراضية الفخمة التي كانت تؤديها فرقة من الراقصات الأوربيات وكانت الطبقة التي تشغل هذا الملهى من أولاد الذوات والأجانب.. ممن ألفوا مشاهدة هذه الاستعراضات..

وقال لي استفان مترددا :

– فيه شغلانة مش بطالة ولو أنها هايفة شويه..

وسألته متلهفا :

– شغله ايه.. ؟

– بس الشغلانة دي يمكن ما ترضيش مواهبك.. لكن أهي شغلانة والسلام على ما ربنا يفرجها..!

ووافقته بسرعة :

– أي شغلانة والسلام..

وعندئذ عرض على استفان أن أظهر في نمرة " خيال الظل " من خلف الستار فسألته عن الاجر فقال لي :

– تمانين قرش في الليلة..!

واغمضت عيني قليلا.. لأتخيل سعادتي المقبلة بهذه الثمانين قرشا التي سأتقاضاها كل ليلة.. وظن استفان أنني اعترض فعاد يقول لي :

– أهو موقتا يا سي نجيب..!

وهززت رأسي موافقا وأنا أقول :

– تمانين.. سبعين.. كله كويس.. بس لايمني..!

وبدأت أعمل في مسرح الابيي دي روز..!

الحظ معي!

وبعد أيام ضاقت نفسي بهذا الاستعراض الصامت الذي أقوم به في المسرح فرأيت أن اقترح على صاحبه الخواجه " روزاتي " تقديم اسكتشات تمثيلية على المسرح.. ولكن كانت هناك دون اقتناعه بفائدة هذا الاقتراح عقبات.. منها أن رواد الابيي دي روز قد تعودوا على هذا اللون الاستعراضي وهم من الطبقات التي لا يهمها أن ترى التمثيل بقدر ما يهمها أن تشاهد سيقان الراقصات الأوربيات.. ومنها أن روزاتي نفسه كان صعب الاقتناع..

وساعدتني الظروف.. وصاحبني الحظ من الباب للطاق..!

فقد كان للمسيو روزاتي زوجة إذا رآها القمر ليلة ١٤ أصبح وجهه في صفرة الليمون..!

كانت أجمل امرأة في القطر المصري.. وقد زادت معلوماتي عنها بعد

أن زرت اوربا، إذ علمت أنها كانت أجمل امرأة في العالم..!

وكانت مدام روزاتي محط أعجاب الناس جميعا.. وكان اعجابها هي يتكتل كله ليحط على العبد الفقير وحده..!

واستطعت أن اكتشف بغير ذكاء أن اعجابها بي – الذي كانت تبديه نحوي بمناسبة وبغير مناسبة – لم يكن لوجه الله.. ولا وجه الفن.. بل لوجهي الوسيم.. باعتبار ما كان..

وأعترف بأنني شكرت الحظ.. فقد كنت في حاجة لطريقة اقنع بها المسيو روزاتي بوجاهة فكرتي، ورأيت من الصواب أن أعرضها عليها – مدام روزاتي – حتى إذا اقتنعت بها – وهي ستقتنع بها حتما – اقنعت بها زوجها..

وقد كان...

وقبل أن أدخل في التفاصيل أرجو أن يفهم القارئ أنني لم أكن أبادل مدام روزاتي – رغم جمالها المفرط – أي عاطفة، حفظا لكرامة زوجها المسيو روزاتي..!

ميلاد كشكش بيه!

وذات يوم سألني روزاتي عن المشروع الذي اقترحه، فقلت له أنني أريد تقديم استكشاف تمثيلية استعراضية يدخل فيها التمثيل دون أن يخرج منها الرقص والموسيقى فمثلا عمدة من الريف يزور القاهرة بعد أن يبيع محصول القطن ويملأ جيوبه الذهب، فتسحره ملاهي القاهرة وفتيات

المراقص وإذا به يخسر كل نقوده، ولا يجد اجرة القطار التي يعود بها إلى قريته..

وما أن سمع روزاتي بالفكرة حتى أعجب بها، وحبذ تنفيذها..

وهكذا بدأت شخصية كشكش به عمدة كفر البلاص ترى النور!

عصر ذهبي

كان نجاحي في هذا اللون (الفرانكو آراب) يفوق حدود الوصف.. خصوصا في مسرح الابيي دي روز.. الذي لا يرتاده إلا الطبقات العليا من الناس.. وبدأ الذهب يتدفق إلى جيوبي. فارتفعت اجرتي في الليلة إلى مائة وخمسين قرشا ثم إلى جنيهين ثم إلى خمسة.. وهكذا..

وفي فترة قصيرة أصحبت كل شئ في مسرح الابيي دي روز..

كان روزاتي معجبا بي للنجاح الكبير الذي لقيته برامجنا.. بينما كانت مدام روزاتي معجبة بي لأسباب أخرى..

وهكذا ضممت الفخر من أطرافه على رأي مهيار الديلمي..!

ولكن..!

وتعود (لكن) لتقف في طريق حظي مرة أخرى..

فإن غرام مدام روزاتي بشخصي الضعيف كان قد شاع وملأ الاسماع.. فلم تكن هي – الله يمسيها بالخير – تتورع عن ملاحقتي بعواطفها أمام الجميع.. وبدأ العواذل يدسون لي عند روزاتي..

وأخذنا – أنا والرجل – نختلف على توافه الأمور..

وشعرت بأن التعاون بيننا لن يجدي ما دام قد ساورته الظنون في حقيقة أخلاصي له. فتركت الفرقة..

وهنا – مرة ثانية – ابرئ ذمتي، فأذكر أنني لم اسمح لعيني بأن تكون فارغة فأخون الرجل، رغم مواقف الحرج الكثيرة التي كان يوقعني فيها غرام زوجته بالدون جوان الضعيف..!

من ٢٠ جنيها إلى ١٢٠

عندما كثرت وشايات " العواذل " بي عند روزاتي ورأيت أن الرجل بدأ يختلف معي على التوافه، ويثير في وجهي المصاعب، رأيت أن اترك الفرقة، وبالطبع وافق روزاتي إذ اشعرني بأن الباب مفتوح و " يفوت الجمل !"

ولكنني – وأنا رجل طيب القلب – لم أشأ أن اترك الفرقة قبل أن أمهل الخواجه روزاتي أسبوعا ليجد فيه من يحل محلي، وفي نهاية الاسبوع غادرت الفرقة رغم أن العقد الذي أبرم بيني وبينه، لم يكن قد انتهى أجله بعد!

على أنني اعترف بأن الذي شجعني على ترك الفرقة، أنه كانت هناك مفاوضات تجرى بيني وبين الخواجه (ديمو كونجاس) على أن أعمل معه في مسرح (رينيسانس) في شارع فؤاد الأول – محل شملا الآن – وكان الخواجه ديمو كونجاس قد حاول المستحيل لكي يغريني بهذا المشروع، ولا شك أنه كان مدفوعا إلى ذلك بما رآه من نجاحي في مسرح الابيي دي روز!

ومما شجعني على قبول هذا المشروع أيضا بضعة عوامل أخرى، أهمها أنه عرض علي مرتبا شهريا قدره مئة وعشرون جنيها، وهو مبلغ لم أكن أحلم به في ذلك الوقت ومنها أن جحود الخواجه روزيتي كان قد (صد نفسي) عن فرقته!

وقبضت نصف مرتب شهر عربونا.. وكان المبلغ الذي قبضته يعتبر رقما قياسيا بالنسبة لجيبي الفقير!

إلى المحكمة

عندما بدأنا نجري بروفات العمل في مسرح الرينسانس، شعر روزاتي بالخسارة التي حاقت به.. وكانت خسارة ذات حدين، فمن ناحية لم يعد لديه كشاكش ولا يحزنون، ومن جهة أخرى وجد في عملي مع كونجاس، الذي كان قد تعاقد على استثمار مسرح الابيي دي روز، وجد فيه منافسة قوية قد تجر عليه الخراب..

وعندئذ رفع على قضية أمام المحكمة المختلطة، يطالبني فيها بتعويض قدره ٢٠٠٠ جنيه بالتمام.. وبعدم استغلال شخصية (كشكش بيه) باعتباره صاحب المسرح الذي ابتكر هذه الشخصية المحظوظة!

وبعد أخذ ورد، رفضت المحكمة طلبات روزاتي بالنسبة لكشكش بيه، إذ حكمت بأن تسجيل شخصية عمدة كفر البلاص هذه من حقي وحدي لأني ممثلها ومبتكرها.. ولكنها حكمت علي بغرامة قدرها مئة جنيه ادفعها لروزاتي، نظير الشرط الجزائي في العقد المحرر بيننا، لأنني أخللت به وتركت الفرقة قبل انتهائه!

وهنا كانت نهاية مسرح الابيي دي روز!

حرب باردة!

وبدأنا العمل في مسرح الرينسانس وفي النفس ما فيها من آثار التقاضي مع روزاتي، وانضم إلينا المرحوم أمين صدقي واستفان روستي، وعبداللطيف المصري.. كما انضم إلينا لأول مرة المرحوم عبداللطيف جمجوم..

وفي أول رواية قدمناها، تعمدنا أن نثير غيظ روزاتي فاسميناها " ابقى قابلني "، وكانت هذه الرواية فاتحة عهد جديد في فن " التريقة " و " التاويز " على المنافسين أو بعبارة أخرى كانت تشبه إلى حد كبير طريقة روسيا وأمريكا في حربهما الباردة!

وقد انتشرت هذه التقليعة تقليعة الحرب الباردة في ذلك الحين انتشارا سريعا.. فكانت الفرق المتنافسة تختار اسماء رواياتها بحيث تثير أعصاب الفرق الأخرى المنافسة لها، أو ترد بها على اسم رواية يثير أعصابها هي!

ولأول مرة في تاريخ المسرح المصري يستغرق عرض إحدى الروايات شهرا بأكمله فقد نجحت رواية " ابقى قابلني " نجاحا منقطع النظير، ولم يفتر اقبال الجمهور علينا خلال الشهر كله الذي واصلنا فيه تمثيلها..

ولم ينقص ايراد شباك التذاكر في أحد الايام وطوال ذلك الشهر. وبدأت (النغنغة) فعرف طريقها إلى نفوسنا.

كش كش بيه في باريس

وفي نهاية الشهر أخرجنا رواية "كش كش بيه في باريس " فدقت هذه الرواية آخر مسمار في نعش المرحوم " الابيي دي روز ".. إذ لاقت من النجاح ما لم تلاقه حتى رواية " ابقى قابلني "!

ثم أخرجنا بعدها رواية " وصية كش كش بيه "..

ولم يكن نصيبها من النجاح بأقل من نصيب سابقاتها من الروايات التي قدمناها..

وفي شهر مايو من عام ١٩١٧ كانت مدة العقد الذي استأجر به الخواجه ديمو مسرح الرينسانس قد انتهت، ولم يشأ ديمو أن يجدده، بل فضل أن نشتغل على مسرح جديد يكون ملكا له، وفاتحني في ذلك، فوافقته على وجهة نظره، لأن قيمة الايجار الذي كان يدفعه للرينلسانس مرتفعة جدا.. وإذا دخلت هذه القيمة جيوبنا، فسيزيد الخير خيرين!

الاجبسيانة

ووقع اختيرنا على مقهى بشارع عماد الدين – مجاور لسينما استديو مصر الآن – فأخذنا في هدمه لإقامة المسرح الجديد عليه.. وكانت جيوبنا عامرة في ذلك الحين، فاعتقدنا أننا نستطيع أن نبني المسرح بمنتهى الارتياح..

ولكن.. لقد استغرقت عملية الهدم وحدها أربعة أشهر.. وكانت نقود ديمو كونجاس قد نفدت فاستعان بي..

واعطيته ما يحتاجه من " شقا العمر " حتى أصبحت في أسابيع قليلة نظيف الجيب وكأننا يا بدر لا كسبنه ولا حاجة.!

ريجيم اضطراري

وكنت قد أصبحت على الحديدة، وكنت إلى جانب ذلك أحب فتاة فرنسية اسمها " لوسي " كانت تشتهي أن تشاهد الروايات التي كانت تقدمها بعض الفرق الاجنبية على مسرح الكورسال – مكان داود عدس الآن بشارع الفي بك – وقد حدث ذات يوم أن خلا جيبي إلا من اثنى عشر قرشا فقط... اثنى عشر قرشا كانت كل ما أملك..

وكان علي أن اصطحب لوسي إلى مسرح الكورسال، ومع أنني كنت أستطيع الحصول على تصريح مجاني لدخول المسرح، إلا أنني كنت خجولا، وبناء على هذا الخجل أصبح علي أن أجد حلا لمشكلة شراء تذكرتين.. وتناول العشاء بما لا يزيد عن الاثنى عشر قرشا!

اشتريت تذكرتين أعلى التياترو بعشرة قروش، وبقي في جيبي قرشان.. وكان الجوع يقرصنا ونحن داخل المسرح.. فطلبت كوبة شاي بالقرشين الباقيين.. فلما احضره الجرسون شربته بدون سكر.. ووضعت السكر في حقيبة لوسي..

وتسألني عن السر في الاحتفاظ بالسكر فاقول لك أننا كنا نملك شايا وخبزا في المنزل، ولكن لم يكن لدينا سكر.. فالاحتفاظ بالسكر سيوفر لنا عشاء مؤلف من الشاي والخبز!

بعد العسر يسرا..

نرجح مرجوعنا..

أعطيت ديمو كل ما أملك ولكن كل ما أملك لم يكن كافيا لبناء مسرح بطبيعة الحال فاكتفينا ببناء سور حول قطعة الأرض وملأناها بالمقاعد وأصبح بذلك لدينا مسرح – مسرح بغير سقف – ولكنه مسرح والسلام.. ولما كان السقف ضروري، فقد جعلناه قماشا، حتى يحلها حلال العقد فتكمل بناء المسرح كله..

وأطلقنا على المسرح الجديد اسم (الاجبسيانة) حتى يدخله المصريون والاجانب معا ، وبدأنا نعمل في ١٧ سبتمبر سنة ١٩١٧ على مسرح الاجبسيانة، وكان النجاح الذي صادفنا عجيبا، فرغم أن مقاعد المسرح كانت تسع آلاف المتفرجين إلا أن التذاكر كانت تنفد قبل موعد الحفلة بساعة، وكان السعيد الحظ الذي يستطيع أن يحجز له مكانا في شباك التذاكر..

وكان رواد المسرح من جميع الاجناس، ومن كل الطبقات وبدأ العظماء والكبراء يغشونه ويحجزون فيه أماكنهم رغم أن المقاعد كانت موضوعة على أرض رملية..

وعاد العز.. وعادت النغنغة مضاعفين..!

المسرح الاستعراضي

وكانت أول رواية قدمناها في عهدنا الجديد هي " حمار وحلاوة "

التي وضعها المرحوم أمين صدقي، واعتمدنا فيها على شخصية كشكش بيه والمناظر الاستعراضية.. وكانت هذه الرواية نقطة تحول في تاريخ المسرح الاستعراضي المصري، إذ بلغت من النجاح مبلغا عظيما.. وظلت تعرض ثلاثة شهور متوالية وكانت ممثلات الاستعراض في ذاك الوقت من الاجنبيات.. إذ كانت التقاليد تمنع المصريات من مزاولة التمثيل أو الظهور على المسرح..

أمين صدقي ينفصل عنا

وقد أغرى نجاحنا في هذا اللون الاستعراضي المرحوم أمين صدقي إلى أن يفاتحني برغبته في الحصول على نصف إيراد المسرح، ولكني رفضت اجابته إلى طلبه، فانفصل عنا، وانضم إلى فرقة الاستاذ على الكسار ومصطفى أمين التي كانت تعمل حينذاك بجوارنا على مسرح كازينو دي باري – مكان سينما ستوديو مصر الآن – وراح يؤلف لها الروايات..

وكنا في حاجة إلى شخص يؤلف لنا رواياتنا، وكان هناك طبيب أسنان في طنطا اسمه الدكتور ابراهيم شدودي.. كان مشهورا بأزجاله.. فتحدثنا معه بشأن العمل معنا فقبل..

ولكن الدكتور ابراهيم شدودي لم يصبه الحظ..

وبدأنا نجرب مؤلفين آخرين منهم الاستاذ شعبان عوني، والاستاذ حسني ولكن التجربة فشلت مرة أخرى..

كيف عرفت بديع خيري.. ؟

كان لي صديق اسمه جورج شفتشي، كان زميلا لي أيام كنت موظفا في البنك الزراعي.. وكان هذا الصديق يتردد على كثيرا.. وذات يوم عرض علي جورج شفتشي رواية عنوانها.. " على كيفك "، واعجبتني الرواية.. ولم يخب ظني فيها عندما قدمناها.. إذ نالت نجاحا جعلني ابحث عن مؤلفها..

أما لماذا أبحث عن مؤلفها فلأنني كنت أعرف أن صديقي جورج شفتشي لا يستطيع أن يؤلف الروايات بهذه السهولة.. فطفت (اشمشم) حتى عرفت أنه فعلا لم يكن مؤلف الرواية.. وإنما كان مؤلفها مدرس اسمه بديع خيري!

مؤلف من باطنه

كان الأستاذ بديع خيري يعمل بالتدريس في ذلك الوقت وكان من هواة المسرح حتى أنه كان يريد أن يعمل بالتمثيل يوما ما.. بيد أنه خشي أن يحقق رغبته حفظا لأكل العيش، وكان بديع صديقا لجورج شفتشي، وقد أراد جورج أن يستغل موهبة صديقه بديع في التأليف، فعرض عليه أن يؤلف الروايات، على أن يقدمها جورج على أنها من تأليفه، بشرط اقتسام الثمن بينهما.. وكان بديع لا يريد أن يذكر اسمه كمؤلف روايات نظرا لمركزه كمدرس..

وعندما وصلت إلى هذا الحد اسرعت إلى مقابلة بديع خيري. وعرضت عليه أن يؤلف رواياتنا.. فقبل على شرط أن نخفي اسمه..

وكانت الرواية الثانية لبديع هي "كله من ده " وقد فاقت الرواية التي

سبقتها نجاحا واقبالا.. ثم رواية " ١٩١٨ - ١٩٢٠ "!

منافس يظهر

وكانت فرقة الكسار قد لاقت المتاعب لنجاح فرقتنا التي كانت تجاورها واراد الكسار أن ينافسنا، فاستأجر قطعة الأرض التي تجاورنا، وبنى عليها مسرحا يشبه مسرحنا.. بسقفه القماش.. وسماه " مسرح الماجستيك " وهو مكان سينما الماجستيك الآن بشارع عماد الدين - ثم استقل الكسار بالفرقة هو والمرحوم أمين صدقي، بعد أن أخرجا منها مصطفى أمين..

سيد درويش

وفي هذه الاثناء انضم إلينا المرحوم سيد درويش. فأخرجنا رواية " ولو " التي ألفها الاستاذ بديع خيري.. ووضع ألحانها سيد درويش..

وكانت " ولو " هذه ردا على انتقال الكسار إلى مسرح الماجستيك ومحاولة تقليد مسرحنا.. جريا على سياسة الحرب الباردة..!

وأرادت فرقة الكسار أن ترد إلينا التحية فأخرجت رواية " راحت عليك "، فأسرعنا بتقديم رواية لبديع خيري بعنوان " رن "..

وأخذنا نتبادل حرب الاعصاب في الوقت الذي كانت فيه المنافسة قد اشتدت وازدادت حرارة..

رحلة إلى الوراء

وما دمت قد وصلت إلى سرد هذه القصة، فلابد أن أضع أمام انظار

القراء نبذة عن سيد درويش، وكيفية انضمامه إلينا..

مغن من اتياي البارود

لنرجع إلى الوراء خطوة..

كانت جورج بك أبيض تعمل على مسرح " الرينسانس" بعد أن تركته فرقتنا إلى مسرح " الاجبسيانه " وأراد جورج بك أن يقدم شيئا جديدا بعد أن ظهر أن الروايات التراجيدي التي كان يقدمها في ذلك الحين، لم تكن ترضى ميول الجماهير التي انصرفت إلى الفرق الكوميدية!

وفكر جورج بك في أن يقدم روايات كوميدية تتخللها بعض الأغاني..

ولعبت الصدفة دورها مع فرقة جورج أبيض، فقد حدث أن قامت الفرقة برحلة إلى الوجه البحري.. وفي اتياي البارود تقدم مأمور المركز إلى جورج بك وفي يده صبي صغير، وأوصاه أن يترك له فرصة ليغني على المسرح.

ونظر جورج بك إلى الوالد الصغير من تحت إلى فوق ثم قال له :

– اطلع يا ابني غن.. بس أنا ماليش دعوه!

وصعد الولد الصغير على المسرح، وأخذ يغني مقطوعة المرحوم سلامه حجازي الشهيرة " إن كنت في الجيش " ساعة كاملة.. وتشجع جورج بك بعد أن رأى استحسان الجمهور للقروي الصغير فعرض عليه أن يرافق الفرقة في رحلتها للاسكندرية.. وقبل القروي الصغير هذه الفرصة الذهبية

طبعا

وهكذا أصبح حامد مرسي – القروي الصغير – مطربا في فرقة جورج أبيض!!

سيد درويش يظهر

وحطت فرقة جورج أبيض رحالها في مدينة الاسكندرية، ولعبت الصدفة مرة أخرى دورها..كان الشيخ سيد درويش يعمل مغنيا في مقهى صغير بحي كوم الدكة (مسقط رأسه) وكانت له صلات ببعض الممثلين، فلما وصلت فرقة جورج بك إلى الاسكندرية، ذهب سيد درويش إليها ليزور بعض أصدقائه من ممثليها، وفي فترة الاستراحة سمع حامد مرسي فاعجب بصوته، وطلب إليه أن يقابله بعد انتهاء عمله..

ولما تقابلا عرض الشيخ سيد علي حامد أن يغني مقطوعة لحنها له خصيصا وهي " زوروني في السنة مرة "

ونالت الأغنية نجاحا كبيرا وكانت فرقة جورج أبيض في حاجة إلى ملحن، فعرضت على الشيخ سيد أن ينضم إليها..

وعادت الفرقة إلى القاهرة وفي " خرجها " صوان أحدهما المطرب حامد مرسي والثاني الملحن سيد درويش!

فيروز شاه

وبدأت فرقة جورج أبيض تستغل فرصة وجود الملحن والمغني بين أفرادها، فكلفت المرحوم عبدالحليم ديلاور – وهو عبدالحليم المصري

الرياضي المعروف في عصره – بتأليف رواية اوبريت، فألف رواية " فيروز شاه " ثم عهد إلى المرحوم الشيخ سيد بتلحينها وأسند دور البطولة إلى حامد مرسي..

ونالت " فيروز شاه " نجاحا فائق الحد، وكان أغلب هذا النجاح راجعا إلى قوة تلحين الرواية وبدأ الناس يرددون مقاطع من ألحانها في الشوارع

كيف عرفت سيد درويش ؟

في ذلك الوقت كنا نقوم بتمثيل روايات فكاهية استعراضية على مسرح الاجبسيانه كما اسلفت، وقد كان نجاح فرقتنا في هذا اللون المسرحي مشجعا لكثير من الفرق المحترمة وغير المحترمة على منافستنا فيه، فاردت أن أضرب عصفورين بحجر واحد.. العصفور الأول هو التجديد، والعصفور الثاني هو استغلال نجاح سيد درويش كملحن..

وكانت الألحان المتناثرة التي تصل إلى أذني ممن شاهدوا " فيروز شاه " سببا في توجيه فكري إلى سيد درويش، ففي يوم استدعيت أحد أفراد الفرقة ممن يقومون بدور " الكورس " أي " البطانة " وطلبت إليه أن يسمعني بعض ألحان " فيروز شاه " فاسمعني لحنا يقول مطلعه :

أنا لقيت روحي في بستان كان وقتها الفجر يلالي

وكنت أشوف بين الاغصان نور القمر يحكي خيالي..

واذهلتني روعة اللحن، وحدست أن ملحنه (سيد درويش) سوف

تطغي شهرته على غيره من الملحنين بسرعة

ومن هنا صممت على أن تحصل فرقتنا على سيد درويش!

وأسررت بالأمر في اذن صديقي الأستاذ بديع خيري وطلبت إليه أن يحاول الاتفاق مع سيد درويش للعمل معنا

وذهب بديع إلى مسرح الرينسانس ليرى بعينيه نجاح فيروز شاه، وليستمع بنفسه إلى ألحانها تمهيدا لمحادثة الشيخ سيد

ورأى بديع أن يستصحب المرحوم حسين شفيق المصري ليستوضحه رأيه في الموضوع.

وفي تلك الليلة تقابل الاستاذان بديع خيري وحسين شفيق المصري مع سيد درويش لأول مرة بعد انتهاء الرواية، وعرضا عليه الأمر أي أن يتعاون معنا، فقبل رحمه الله ولكن على شرط.. أن يسهرا معه ليلتها..

وقد تعجب يا عزيزي القارئ لهذا الشرط الغريب، ولكن قد يزول عجبك إذا عرفت أن المرحوم الشيخ سيد درويش كان يعشق الليل، وقلما كان ينام ليلا. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فقد كان رحمه الله إذا توسم الاخلاص في شخص أعطاه ثقته من النظرة الأولى

وفي تلك الليلة أمضي بديع وحسين شفيق مع الشيخ سيد سهرة عبقرية امتدت بهم حتى الصباح.. في منزل الممثلة احسان كامل التي كان بينها وبين المرحوم الشيخ سيد صداقة وطيدة في ذلك الحين.

وجاءوا إلى المسرح دون أن يذهب احدهم إلى بيته. وهناك تم التفاهم

بيني وبين سيد درويش على أن يلحن روايتنا في مقابل ستين جنيها شهريا

ولو..

وبدأ سيد درويش بتلحين رواية " ولو " وكانت هذه الرواية – رغم كثرة الفرق التي كانت تحاول تقليدنا في هذا النوع الاستعراضي – من الروايات التي ضربت رقما قياسيا سواء في ايرادها أو في مدة عرضها إذ مكثنا نمثلها ثلاثة شهور متتابعة بنجاح تام

ثم أخرجنا رواية " أش " ثم رواية " رن " وبعدها رواية " قولوا له ".. وكانت " قولوا له " وهي آخر العنقود في النوع الاستعراضي الذي كنا نقدمه، ولاترك الحديث من ذلك لمناسبته..

العشرة الطيبة!

عندما نجحت رواية " ولو " أغرانا النجاح باستغلال النوع الغنائي الكامل " الاوبريت " فاستأجرنا مسرح كازينو دي باري الذي كان مغلقا في ذلك الحين – وهو الذي تقع مكانه سينما ستوديو مصر الآن – لكي نخصصه لهذا النوع من الروايات، بينما نواصل عملنا في نفس الوقت على مسرح الاجبسيانه – الذي يجاوره – في النوع الاستعراضي

وكانت أول أوبريت قدمناها هي " العشرة الطيبة " التي ألفها الاستاذ بديع خيري ووضع ألحانها الشيخ سيد درويش

فشل

ولكن مشروع الأوبريت لاقى الفشل الذريع، على الرغم من النفقات

الباهظة التي كلفنا اياها استئجار المسرح وإخراج " العشرة الطيبة " إذ ثارت حولها الاشاعات تقول أنها رواية تخدم اغراض الانجليز وتوضح الفرق بين استعمار الولاة الاتراك لمصر وبين استعمار الانجليز لها. وبهذا لم يقبل الناس على الرواية وماتت في عمر الزهور!

وكان هذا سببا في انصرافنا عن هذا اللون الذي لا يأتي من ورائه إلا وجع الدماغ، مضافا إليه ما نتكبده فيه من مصاريف الايجار، واخراج الروايات الغنائية الذي يحتاج للاسراف في النفقات، إلى جانب ما كان يتناوله سيد درويش من أجر كبير، إذ وصل أجره في ذلك الحين إلى ثلاثمئة جنيه في الشهر الواحد مئة وخمسون عن تلحين الروايات الاستعراضية، ومثلها لتلحين الاوبريت!

كشاكش!!

قلت إن رواية " قولو له " كانت آخر المطاف بالنسبة لروايات " الريڤلي " وكان السبب في ذلك هو أن النجاح الذي كنا نناله بدأ يقلب لنا ظهر المجن، وأخذ أيراد الشباك يضمحل بعد أن سجل أرقاما قياسية، ذلك لأن الفرق التي ظهرت لتقليدنا في ذلك الحين كانت قد كثر عددها، وكانت الكشاكش في هذه الفترة على قفا من يشيل..

ففي عماد الدين كانت منافسة فرقة الكسار لنا شديدة، وكانت القاهرة قد ملئت بالفرق الصغيرة التي كان الجمهور يرى في كل منها (كشكش) آخر، وهنالك رأيت أن الحكمة تقضي بالبحث عن شئ جديد شئ لم تنله (البزوطة) كما نالت اللون الاستعراضي الذي كنا ننفرد به..!

واعتزمت النزول إلى ميدان الاوبريت من جديد..

سيد درويش يتركنا

وكان سيد درويش – رحمه الله – قد رأى أن ينفصل عنا ليكون فرقة أخرى والتأم شمل عزيز عيد وعمر وصفى وسيد درويش – يرحمهم الله – فكونوا فرقة فيما بينهم لكل منهم نصيب الثلث فيها، ثم قدموا اوبريت " شهرزاد " على مسرح برنتانيا القديم بشارع الفي بك، ولكن الاوبريت لم تلاق نجاحا يذكر فانتقلت فرقة الفرسان الثلاثة الى مسرح دار التمثيل العربي، حيث قدموا اوبريت أخرى هي " البروكة " ولكن حظها لم يكن أسعد من حظ " شهرزاد " فسقطت هي الأخرى

انتهيت الآن من شرح تاريخ صداقتي بالمرحوم سيد درويش ولما كان الشئ فالشئ يذكر فسأروي لكن تاريخ صلاتي ببعض نوابغ الممثلين.. سواء الذين عملوا معي، أو الذين لم يسعدني الحظ بالعمل معهم في الزمان الغابر

إنها وقفة من الخاطر.. دعتني إليها شجون الماضي، الماضي المليئ بحوادثه وصوره.. بفقره وغناء..!

حنجل بوبو

كان حنجل بوبو شخصا مشاكسا، فقد تعمد أن يكون صورة من كشكش بيه عمدة كفر البلاص : لا لشئ إلا لإغاظة كشكش بيه الحقيقي – الذي هو ان – ولنبدأ القصة من أولها..

غاوي تمثيل

ذات يوم جاءني صديق يدعى اسكندر الوهابي، وفي يده شاب صغير، وقدمه لي على أنه من أسرة كبيرة، وأنه يهوى التمثيل إلى حد العبادة وأنه معجب شخصيا بالعبد لله، خصوصا في دور عمدة كفر البلاص ورجاني أن أهئ له فرصة العمل بفرقتي وأن أعهد إليه بتأليف رواياتي!

وقلت يومها للصديق :

– ان هويته للتمثيل تدل على أنه سيصبح ذا مستقبل عظيم.. وأن عجابه بكشكش بيه على عيني ورأسي، ولكن مسألة اشتراكه في التمثيل أو التأليف مع الفرقة فهذا ما يقف دونه المتكلم موقف العجز واستطعت أن اعتذر بلباقة عن قبوله للعمل معنا..

وكان هذا الشاب هو يوسف بك وهبي.. الصديق الذي أحبه واحترمه..

منافسة

بعد أربعة شهور من هذا الحادث.. فوجئت بفرقة كوميدية تحتل المسرح المجاور لمسرح الاجبسيانة الذي كنا نعمل به.. وهو مسرح " كازينو دي باري " ولم تكن المفاجأة في كونها فرقة كوميدية جاءت لتنافس فرقتنا.. فإن الفرق التي كانت تظهر لمنافستنا في تلك الأيام كانت تظهر وتختفي مع اختفاء الشمس وظهورها.. ولكن المفاجأة كانت بالنسبة لظهور كشكش آخر تحت اسم " حنجل بوبو "!

وكان يوسف بك وهبي يقوم بتمثيل هذه الشخصية في الفرقة التي كونها مع المرحوم عزيز عيد، الذي انقلب ينافسني حينذاك!. ويقول الذين كانوا على صلة بيوسف بك في ذلك الزمان أن شخصية " حنجل بوبو " هذه كانت سببا في غضب المرحوم والده عبدالله باشا وهبي لدرجة أنه بكى أثناء سيره خلف نعش أحد الموتى.. فلما سألوه عن سبب بكائه أشار إلى إعلان حائط كبير.. ظهر فيه اسم ابنه " يوسف وهبي " على أنه ممثل دور " حنجل بوبو "..!

وكانت هذه الشخصية أيضا سببا في انتقال يوسف بك إلى التعلق بتمثيل الأدوار التراجيدية.. وبعد أن رأى فشله في حنجل بوبو..

بوكيه برسيم

فشلت فرقة عزيز ويوسف مع أن المرحوم عزيز عيد كان قد حدد موعدا قدره اسبوعان فقط يكون قد " شطب فيه " على فرقتنا، ومسح اسم كشكش بيه من الوجود..!

وكان فشلها راجعا إلى بضعة أسباب، أولها أن شخصية حنجل بوبو كانت تقليدا غير متقن لشخصية كشكش كما أسلفت، وثانيها أن أغلب رواد مسرح " كازينو دي باري " كانوا من طبقة الأجانب وأولاد الذوات.. هذا إلى جانب أن الفرق الأخرى كانت قد بهدلت " شخصية " عمدة كفر البلاص من كثرة تقليدها..

ومما يذكر بهذه المناسبة أن بعض زبائن مسرح الكازينو دي باري قد ضاقوا ذرعا بحنجل بوبو وحماره الذي كان يظهر معه على المسرح..

وأرادوا أن يهنئوه – الحمار لا حنجل بوبو – ففي نهاية أحد الفصول ذات مساء تقدم بعضهم يحمل بوكيهات مغلقة بورق السليوفان الفاخر... وقدموها للحمار..

وأعجب الممثلون بذوق الجمهور الذي دفعهم إلى تقديم الورد إلى الحمار.. فلما فتحوا البوكيهات رأوا بدل الورد برسيما..!!

تهديد.. وفعل

قلت أن المرحوم عزيز عيد كان قد هدد بأنه "سيبوظ " على فرقتنا، ويمسح اسم كشكش بيه من عالم الوجود وقد أراد الله إلا أن " يبيض " وجه عبده عزيز عيد، فأغلق مسرحنا بعد أسبوعين بالضبط.. وهي المهلة التي حددها عزيز عيد.. ولكنه لم يغلق مسرحنا وحده.. بل أغلق جميع مسارح القاهرة..!

وقد نحب أيها القارئ العزيز أن تقف على تفاصيل هذه المعجزة المدهشة ولكنني سأمهلك إلى فصل آخر حينما اتحدث إليك في مناسبتها..!

وهكذا بدأت صيفي بالزميل والصديق يوسف بك، عرفته منافسا لي أول ما عرفته..!

المطرب الصغير

والمطرب الصغير – باعتبار ما كان – هو الآن مطرب كبير جدا.. وموسيقار عظيم وهو الصديق العزيز مُحَمَّد عبدالوهاب..! كيف رأيته للمرة

الأولى.. ؟

كانت قصة مقابلتي لمحمد عبدالوهاب تشبه من بعض وجوهها قصة مقابلتي ليوسف بك وهبي.. فقد جاء به إلى أحد الأصدقاء، وافهمني أنه مطرب يمتاز بصوت جميل وموهبة موسيقية نادرة.. ورجاني في أن أجد له مكانا في فرقتي إذ يغني بين الفصول، ولكن قناعتي بما وصلت إليه الفرقة في ذلك الوقت من نجاح في حدود ما تملكه من كفاءات جعلتني لا أقيم وزنا لشئ آخر..

وبناء عليه اعتذرت للصديق بضيق ذات الأمكنة.. وكانت براعم عبدالوهاب قد بدأت تتفتح عن مواهب عظيمة.. فما إن مرت ثلاث سنوات حتى رأيته يتولى دور " انطونيو " أمام منيره المهدية في رواية " كليوبترا "..!

بنت حنت

انتقل من هذه الصفحة إلى صفحة أخرى..

إن أول سطر فيها يذكرني بفتاة جميلة.. بيضاء البشرة شقراء الشعر.. تمتاز فوق كل ذلك بخفة الدم عيار ٢٤ قيراطا..

فوجئت بها ذات مساء تزورني في غرفتي بالمسرح، وكانت المفاجأة في أنها رفعت الكلفة بسرعة.. ووضعت مكانها عشم الأصدقاء القدماء.. إذ راحت تمزح معي بجرأة عجيبة، وتضع ذقني المستعار موضع التريقة والتأليس..!

ولما كان هذا النوع من النساء ينال مني الاعجاب.. والتقدير.. فقد فتحت صدري بها.. رأيت أنها أصلح من غيرها للعمل بالفرقة وزاد اعجابي بها أنها جاءت لتقابلني بدافع حبها للتمثيل.. وزادت فرصتنا ممثلة اسمها زينب صدقي..!

سارة برنار

أطلق عليها النقاد في فترة ما لقب سارة برنار الشرق، فقد وصلت في تمثيل دور النسر الصغير إلى قمة المجد في ذلك الزمان.. ولأن دور النسر الصغير كان من الأدوار الخالدة للممثلة العالمية سارة برنار.. فقد أطلقوا عليها لقبها..

وكانت فاطمة رشدي عندما خطت خطوتها الأولى في حياتها المسرحية تعمل بفرقتي.. مع مجموعة الفتيات اللائي يغنين الألحان " كورس "..! وكان من الطبيعي أن تظل فاطمة – الفتاة الصغيرة الحلوة التقاطيع – في صفوف الكورس لولا أنها كانت تضم جوانحها على موهبة كبيرة..

ولما توسمت فيها النبوغ إلى جانب قوة صوتها وحلاوته أخذت أعهد إليها بإلقاء بعض الأغاني والمنلوجات الخفيفة في فترات الاستراحة..

ولم يطل بها الوقت حتى التقت بالمرحوم عزيز عيد، الذي صعد بها إلى ما كانت تصبوا إليه من نجاح..!

الفصل الثاني

مغنية من الشام

وقفت بالقراء في الفصل الأول من ذكرياتي عندما بدأنا تمثيل رواية " ٢٤ قيراطا " والنجاح الكبير الذي صادفته هذه الرواية، وفي حوالي الساعة العاشرة مساء من إحدى الليالي التي كنا نقدم فيها هذه الرواية سمعت طرقا ناعما على باب غرفتي.. ثم دخلت فتاة حسناء تنطق كل أجزاء جسمها ووجهها بالجمال الصافي والانوثة المتدفقة.. قالت لي أنها شامية وأنها تريد العمل معي..

طلبت إليها أن تسمعني صوتها فغنت لي أغنية سورية أثرت في تأثيرا قويا فتنبأت لها في الحال بمستقبل زاهر في عالم الغناء.. وفي الحال حررت معها عقدا على أن تقدم بعض الأغاني والمنلوجات بين فصول الرواية. كما اتفقنا على أن تبدأ عملها في اليوم التالي مباشرة..

وكم كانت دهشتي بالغة عندما علمت في اليوم التالي أن الفتاة المذكورة واسمها " بديعة مصابني " قد اختفت فجأة ولا أثر لها في القاهرة. فأسدلت ستارا على قصة هذه الفتاة.. وتناسيتها..!

شركة ترقية التمثيل العربي

وبعد أيام قامت ضجة كبيرة في الوسط الفني حول شركة جديدة

تسمى شركة ترقية التمثيل العربي.. اسسها سعادة طلعت حرب باشا وعدد كبير من الماليين.. وبدأت الشركة عملها فكونت فرقة تمثيلية على رأسها العكاشيون الثلاثة " عبدالله وزكي وعبدالحميد " وبدأت الشركة باكورة انتاجها فسخرت كبار المؤلفين والكتاب والممثلين والملحنين.. كما قامت بحملة دعاية واسعة النطاق ولكي اكون صريحا معكم – كما هي عادتي دائما – أقول قد أثرت علينا تأثيرا كبيرا فبدأت أسهمنا في الهبوط والتدهور كما هبطت روحي المعنوية، فبرمت بالعمل وضقت ذرعا بالتمثيل حتى أني كدت أشعر مرة أخرى أنني ارتكبت خطا كبيرا باحترافي التمثيل..!

أخوات رشدي

جاءني أحد موظفي المسرح ليخبرني بأن فتاتين وطفلة يردن مقابلتي، ولما طلبت إليه أن يدخلهن رأيت أمامي فتاتين ناضجتين تمسكان بيدهما طفلة في حوالي الحادية عشرة من عمرها، وبعد تقديم التحيات وفروض الولاء والطاعة وعبارات الاعجاب الشديد قلن أنه يشرفهن أن يعملن معي في المسرح.. وسألت كبراهن عن اسمها فقالت انها رتيبة رشدي، ثم أشارت إلى شقيقتها الأخرى قائلة أنها أنصاف، ثم قالت : أما هذه الطفلة فتسمى فاطمة..!

ثم أر مانعا من قبولهن في الفرقة.. فأجبت طلبهن..

جولة بين الأقطار الشقيقة

وبينما كانت موجات الخمود والاضطراب، بل واليأس، تتجاذبني يمينا وشمالا.. جاءني الحاج مصطفى حفني مدير تياترو برنتانيا في ذلك الوقت

وعرض علي أن يشاركني في جولة نقوم بها بين الأقطار الشقيقة.. فلم أر مانعا من القيام بهذه الجولة.. لعلها تزيل عني جانبا من الهموم التي كانت تثقل كاهلي في ذلك الوقت..

وقبل أن أنتقل بكم الى سوريا ولبنان أقول إن الاقدار أبت إلا أن تتكاتف على " عكننتي " فحدث خلاف بيني وبين صديقتي لوسي – وقد سبق أن تحدثت عنها – فافترقنا.. فانتقلت حالتي من سئ إلى أسوأ لأن لوسي كانت عضدي الأيمن التي تشد من أزري لنجتاز المصاعب التي كانت تصدمنا من وقت لآخر كما كنت أشعر في قرارة نفسي بأن هذا النجاح الذي صادفته إنما كان يرجع إلى عزيمة لوسي القوية حتى أنني كدت أوقن أنني سأفقد كل شئ بفقد لوسي..

انتقلنا إلى لبنان وأنا أطمع في أن تتحسن روحي المعنوية وحالتي المادية.. فإذا بي اصدم صدمة كادت تفقدني صوابي.. كان الاقبال على رواياتنا قليلا جدا.. فرحت أبحث عن السبب فإذا هو يتلخص في أن حضرة الزميل اللبناني أمين عطاالله – جزاه الله خيرا – وقد كان يعمل معي في فرقتي بالقاهرة منذ وقت غير قصير – قد سرق رواياتي وألحاني وراح يقدمها للشعب اللبناني والسوري.. ولم يقف عند هذا الحد.. بل وصلت به الجرأة إلى أن يسرق شخصية كشكش بيه.. وكان يضم الكاف في كلمة (كشكش) عندما يمثل للبنانيين.. ويفتحها – أي ينصبها – عندما يمثل للسوريين..!

والذي زاد الطين بلة أن الأستاذ أمين عطاالله كان يعرف عادات

وطباع السوريين واللبنانيين أكثر مني بوصفه واحدا منهم.. فكان يتفنن في اجتذابهم إليه بأن يقدم لهم " الكوميدي المفتعل " الذي يدور حول المرمطة في الأرض والاتيان بحركات بهلوانية كلها تكلف وتصنع.. ولكنها للأسف كانت تعجب اللبنانيين والسوريين أكثر من أي نوع آخر من التمثيل.. ولما كنت لم أجرب بعد هذا النوع من " البهدلة " فقد فشلت أمام أمين عطاالله..

وبناء عليه صار أمين عطاالله هو الأصل.. أما أنا فقد أصبحت كشكش بك تقليد.. وقد سمعت بنفسي إحدى اللبنانيات الفاضلات تحدث إحدى زميلاتها مشيرة إلي :

" هايدا ماله كشكش.. هايدا تقليد.. "

عودة بديعة

كنت منهمكا في تمثيل دوري على المسرح عندما شاهدت سيدة في أحد الألواج القريبة مني تصفق لي بحرارة وحماس.. قلما شاهدت مثله من زميلاتها اللبنانيات..

سألت نفسي : ما السر في كل هذا الحماس والتصفيق.. ولكن السؤال لم يجد جوابا إلا عندما أسدل الستار عن الفصل.. وجاءت إلى السيدة لتقول :

– ألا تتذكرني.. ؟ أنا بديعة مصابني.. التي حررت معها عقدا للعمل معك في مصر، ولكني اضطررت للعودة إلى لبنان لأمور مستعجلة..!

تذكرتها.. وحررنا عقدا آخر على أن تعمل معي في لبنان بمرتب

شهري قدره أربعون جنيها..

وفي لبنان علمت أن بديعة تدير صالة، وأنها راقصة ممتازة.. وأن لها معجبين كثيرين..

عودة.. وقضية

وبعد ثلاثة أشهر قضيتها في سوريا ولبنان كان الايراد فيها يساوي الدخل بدون مكسب أو خسارة وعدت إلى القاهرة لكي أجد قضية تنتظرني.. قبل أن أسافر إلى لبنان كنت قد تركت لدى مسيو كونجاس ستمائة جنيه احتياطيا لكي يخصم منها خمسة جنيهات عن كل ليلة اقضيها خارج القطر،

ولكن مسيو كونجاس نقض الاتفاق ورفع علي قضية يطالبني فيها بتعويض لأنني تركت العمل بمصر.. ولكن الله سلم، إذ كان حكم المحكمة في صالحي.

كوبون سجاير

لم أكد استقر في مصر بعض الوقت بعد عودتي من سوريا ولبنان حتى جاءني مندوب من شركة سجاير ماتوسيان ليعقد معي اتفاقا أعمل بمقتضاه لحساب الشركة بالاسكندرية.. وذلك لأن الشركة ستضع في علب سجائرها كوبونات تخول لمدخنيها الحق في مشاهدة رواياتي بتخفيض.. فانتقلت إلى الاسكندرية وعملت بتياترو كونكورديا بالمينا الشرقية لحساب شركة ماتوسيان من أول مارس سنة ١٩٢٢ حتى نهاية مايو من نفس السنة.

ثم عدت إلى القاهرة لاصطدم بعدة أحداث خطيرة أثرت على روحي

المعنوية تأثيرا كبيرا.. فقد توفيت والدتي واختفى أخي الصغير الذي كنت أحبه حبا جما والذي كان عندي بمثابة الاخ والصديق والخليل.. فعدت إلى خمولي حتى جاءني أحد المتعهدين ليتعاقد معي على القيام برحلة أخرى إلى سوريا ولبنان.

والذي يؤسف له أن هذه الرحلة لم تنل نجاحا أكثر من سابقتها، بل بدا ممثلو فرقتي يتزمتون ويتعنتون..

وبينما كنت أبذل ما في استطاعتي من جهد لإرضاء الممثلين والمتفرجين سمعت نبأ أثار حماستي مضمونة أن يوسف وهبي وعزيز عيد قد عادا من إيطاليا وأنهما يسعيان إلى تأليف فرقة كبيرة كما يسعيان إلى تهيئة مسرح لهبة بعماد الدين فاسرعت إلى القاهرة لكي استأنف العمل بما ستتطلبه هذه المنافسة الجديدة من جد واجتهاد ومثابرة واستعداد..!

أنا كسلان

عدت إلى مصر ومعي السيدة بديعة مصابني بعد أن عملت معي على مسارح سوريا ولبنان نظير مرتب شهري قدره أربعون جنيها. عدنا إلى استئناف الجهاد فاشتركت أنا والأستاذ بديع خيري في تأليف رواية سميناها " الليالي الملاح ".. وزعنا أدوارها وبدأنا اجراء البروفات فإذا بي اكتشف في بديعة ناحية عجيبة وهي أنها لا تصمد في البروفات، فكثيرا ما كانت تتضايق منها، ولكنني كنت أقابلها دائما بشدة وحزم وذلك لأنني كنت أعتقد في قرارة نفسي أن هذه الفتاة موهوبة وأنها ستصبح في يوم من الأيام نجمة في عالم الفن.. فكنت أؤنبها بشدة إذا تأخرت في الحضور أو تبرمت

بالبروفات.. فكانت تثور وتغضب ولكنني لم أهتم لثورتها، بل على العكس.. كلما تبرمت ازددت في تعنيفها كما كنت ألمح لها أن هذه السياسة التي اتبعها معها إنما هي لمصلحتها. ولكنها لم تكن تأبه بهذا التلميح حتى أنها أوشكت ذات مرة على ترك العمل..!

قدمنا رواية " الليالي الملاح " فإذا بها تنجح نجاحا منقطع النظير، وإذا بالفنانة بديعة ترتفع إلى الذروة مرة واحدة فيتحدث عنها الناس والفنانون في جميع الأندية والمقاهي.. وهنا شعرت بديعة بلذة الانتصار واقتنعت بأن الشدة التي كنت أعاملها بها كان من نتيجتها أن أدت دورها بنجاح ففازت بالاعجاب فانقلبت رأسا على عقب.. انقلبت من ساخطة متبرمة إلى شعلة من النشاط والحركة.. فراحت تطلب تمثيل روايات أخرى وهي تجهل الصعوبات الكامنة في المراحل المختلفة التي تمر بها الرواية حتى تمثل على المسرح.. فكنت أطيب خاطرها بكلمات معسولة.. وأعدها بأننا سنقدم قريبا رواية وروايات.. ولكنها لم تقتنع بهذه الكلمات المعسولة فراحت تصر على ضرورة عمل رواية أخرى واتهمتني بالكسل..

وهنا يجب أن نقف قليلا لكي أقول أن هذه التهمة التي لاقت التأييد من معظم الناس والفنانين والتي أصبحت تقرن باسمي في كل مكان.. إنما الفضل في ابتداعها يرجع إلى بديعة جزاها الله خيرا..

الشاطر حسن

استغرق تمثيل رواية " الليالي الملاح " شهرا كاملا وكان يمكن أن تمثل شهرا آخر لولا الكرباج الذي كانت تحمله لنا بديعة، حتى اضطررنا إلى

تقديم رواية " الشاطر حسن " قبل أن ننتهي من إتمام بروفاتها.. فجاء الفصل الأخير مفككا.. ولكننا استطعنا خلال الليالي الأولى من تمثيل الرواية أن نصلح ما فسد حتى استكملت الرواية ولاقت نجاحا كبيرا. ثم قدمنا رواية " أيام العز ".

بديع المؤلف الناجح

وهنا أقف مرة أخرى لأقول أنني قد اكتشفت في بديع خيري أثناء تأليف روايات " الليالي الملاح.. والشاطر حسن.. وأيام العز " اكتشفت في بديع مؤلفا ناجحا كما سبق أن اكتشفت فيه زجالا موفقا.. ولقد ندمت كثيرا لأنني لم اكتشف هذه الموهبة من قبل عند بدء التحاق بديع بالعمل معي..

الدرام والكوميدي

وفي هذه الاثناء ظهرت في الاسكندرية موجة من الجرائم كان بطلتاها سيدتين " ريا " و " سكينة " و " حسب الله " زوج أحدهما.. وكانت جرائمهم فظيعة جدا وتدور حول " اصطياد " السيدات من الطرقات واقتيادهن إلى أماكن خفية حيث يستولي المجرمون على حليهن وملابسهن ثم يقتلونهن ويدفنونهن في الخرائب وخارج المدينة.. وهنا بدأ الشيطان يلعب في عبي.. لم لا أقدم دراما عنيفة حول هذه المآسي والجرائم.. ؟

ولعل الذي قوى في نفسي هذه الرغبة أنني – كما سبق أن قلت – قد نشأت نشأة درامية.. فكنت أمني نفسي بأنني سأصبح في يوم من الأيام ممثل دراما على سن ورمح.. لأنني والحمد لله أجمع بين جوانبي كل مؤهلات ممثلي البكاء والحزن والانين..

وهنا أقف وقفة قصيرة لأقول أن تاريخ التمثيل في جميع أنحاء العالم يؤكد لنا أن معظم ممثلي الكوميدي يتمنون في نفوسهم أن يصبحوا ممثلي دراما.. لماذا.. ؟

لا أدري..!

والدليل على ذلك ماثل أمامنا في " شارلي شابلن "عندما داعبته هذه الرغبة فأصر على أن يقدم رواية " نابليون " و " هملت " وهملت من أقوى الدرامات.

ما علينا..

ألفنا رواية " ريا وسكينه " وقدمناها على المسرح، فإذا بي أشعر بالفرح يملأ جوانحي عندما أشاهد المئات من حضرات المتفرجين الأفاضل يبكون أثناء التمثيل فيخرجون مناديلهم ليجففوا دموعهم.. كما راحت عبارات الالم والاسى تتجاوب بين جدران المسرح.. هذا يقول : " كفاية بقى وحياتك ".. وتلك تصيح : " يا كبدي عليها.. راحت المسكينه ".. ثم تجهش في البكاء بصوت كان يزيدني حماسة وقوة، فكنت أقتل واشنق بلا أدنى شفقة أو رحمة

أبو الشام يثور

وحدث ليلة أن كنت أؤدي دوري فتقدمت مني بديعة على خشبة المسرح في مشيتها الأنيقة وحليها الفاخرة.. فتقدمت منها كأي مجرم محترم واطبقت أصابعي حول عنقها محاولا خنقها كما كان يفعل " حسب الله " زوج ريا فأخذت بديعة تتلوى وتئن بين أصابعي.. فثارت ثائرة أحد

المتفرجين اللبنانيين وكان يعرف بديعة فارتفع صوته الحاد يقول :

" دشرها ولاك.. العمى بعينتك.. هلا.. يا أزعر "!

فانقلب أبو الكشاكش الدامي العنيف إلى أبي الكشاكش الكوميدي مثيرا بذلك ضحك الجمهور والممثلين..

عودة إلى البؤس

يذكر القراء أنني عندما كنت موظفا بشركة السكر بنجع حمادي تنبأت لي إحدى العرافات بمستقبلي فقالت إنني سأرتفع إلى القمة وأثرى ثراء واسعا ثم أعود إلى الفلس والبؤس والشقاء مرة أخرى..

وفعلا حدث..!

أما كيف حدث الشقاء فقصته طويلة أوجزها فيما يلي :

القراء يذكرون المسيو ديمو كنجس صاحب المسرح وكيف أنه ارتفع بفضل المسرح وفضلي – مع التواضع – من أصحاب المئات إلى أصحاب الآلاف وعشرات الآلاف.. إذ كان صافي نصيبه من المسرح لا يقل عن عشرة آلاف جنيه في السنة.. وبدلا من أن يشهد لي الرجل بهذا الفضل فوجئت باتفاق بينه وبين الحاج مصطفى حفني على أن يصلحا المسرح ويتمما بناءه.. وكان حتى ذلك الوقت بلا سقف كما اتفقنا على أن يجلبا فرقا أجنبية من الخارج لتعمل به.. أما نجيب الريحاني فقد أصبح – في نظرهم – في خبر كان..!

ذهبت إلى المسيو ديمو كنجس لاستجلى حقيقة الأمر فإذا بي أفاجأ

بأن كل معلوماتي صحيحة، وأنه أصبح لا مجال لي للعمل بهذا المسرح.. حاولت أن احتج.. ولكن الاحتجاج لم يجد.. وبعد مناقشات ومفاوضات لا تقل شيئا في خطورتها عن مفاوضات صدقي – بيفن.. عرض على المسيو ديمو كنجس أن أعمل بالمسرح في الفترات الواقعة بين سفر الفرق الأجنبية وحضور فرق أخرى.. وكذلك في فصل الصيف.. فصل الحر الذي يأبى الاجانب أن يعملوا خلاله..!!

هذا أولا..

أما ثانيا فإنني كنت أحفظ بالبنك ثلاثة آلاف جنيه وهي كل ما كنت أملك في ذلك الوقت لكي تكون في متناول يدي أسحب منها ما أشاء وقتما أشاء.. ذهبت ذات صباح إلى البنك لكي أسحب بعض النقود فإذا بالبنك يرفض إعطائي مليما واحدا.. لماذا.. ؟ إليكم السبب :

أدعي أحد المحتالين أنني سبق أن اقترضت منه مئة جنيه فقدم كمبيالة مزورة إلى البنك طالبا صرف هذه المئة جنيه.. ولما كان البنك حريصا ودقيقا في معاملاته فقد رفض صرف المبلغ المذكور حتى يتم التحقيق وتتخذ العدالة مجراها.. وخوفا من أن أسحب نقودي من البنك فتضيع على الدائن المحتال المئة جنيه فقد رفض البنك أن يعطيني شيئا.. وأصر على اقفال الحساب حتى يتم التحقيق..!

يا عالم..!

تقولون أنني مدين بمئة جنيه.. إذن احجزوا هذه المئة جنيه حتى يتم التحقيق.. احجزوا مئتين.. احجزو ألف جنيه.. أما أن تحجزوا ثلاثة آلاف

جنيه لضمان مائة جنيه.. فهذا لا يطاق..!

أما ثالثة الأثافي.. وإن كان الاستاذ بديع خيري يصر على أنه ليس هناك ثالثة أثافي حتى ولا أولى أثافي.. فهي قصة مؤلمة ذهبت بصوابي فترة طويلة ويؤسفني أنني لا أستطيع أن أذكرها الآن لأنها تتعلق بكرامة بعض الناس الذين يعيشون بيننا الآن..!

قلت أنني أتفقت مع المسيو ديمو كنجس والحاج مصطفى حفني على أن تعمل فرقتي على مسرح برنتانيا خلال فصل الصيف والفترات التي بين سفر الفرق الأجنبية وحضور فرق أخرى جديدة.. وقد عدنا لاستئناف الجهاد.. مغانيا إذا قلت أن البرنسيس كانت أول محاولة حقيقية للكوميدي الراقي.. ففيها خرجت لأول مرة من شخصية كشكش بك لأقوم بدور موسيقى متجول وطعمت الرواية – لأول مرة كذلك – بما يشبه الاوبريت..

ولقد لاقت " البرنسيس " نجاحا كبيرا وساعدت على رفع نجم بديعة مصابني، إلا أن هذه الرواية لم تدام طويلا.. فقدمنا رواية " الفلوس " ثم " لو كنت ملك " ثم " مجلس الأنس "..

يوسف وهبي ينتصر

وفي هذه الاثناء كان صديقي يوسف بك وهبي يعمل على مسرح رمسيس فكان ينقل إلى العربية أجود الانتاج الأدبي الغربي ليسلمه لعزيز عيد الذي يتولى إخراجه.. وكان اتجاه يوسف بك وهبي في رواياته اتجاها تراجيديا.. إذ بدأ حملات القتال والشنق والتعذيب..

ويبدو أن الجمهور كان يستسيغ هذا النوع من التمثيل التراجيدي

أكثر من الكوميدي.. فراح يتهافت على مسرح رمسيس فنجح نجاحا كبيرا في حين أن نجاحنا كان محصورا داخل الدائرة الضيقة التي كنا نعمل فيها..!

إلى الأبد يا برنتانيا

كان لعقد المحرر بيني وبين المسيو ديمو كنجس والحاج مصطفى حفني يلزمني بأن أقدم أربع حفلات نهارية " ماتيهنيه " خلال الأسبوع..

ولما كان الجو حارا فإن حضرات المتفرجين الأفاضل كانوا يفضلون النوم نهارا لتمضية سهرات طويلة..! ولعل هذا هو السبب في أن معظم حفلاتنا النهارية كانت فاشلة جدا من حيث إيراد الشباك.. فكانت الصالة أقرب بالقاع الصفصاف منها إلى صالة تمثيل، وحينئذ اقترحت على الحاج مصطفى حفني أن نوقف العمل حقنا للنفقات الباهظة التي كانت تنفق على الكهرباء والموظفين والعمال.. فاقتنع الحاج وجاهة اقتراحي..

وبعد أشهر قلائل ذهبت إلى المسرح لاحمل حقائبي وملابسي والستائر الحريرية التي كنت قد اشتريتها من مالي الخاص..

وفوجئت بالحاج مصطفى يأمرني بألا آخذ " قشاية " واحدة من المسرح. سألت عن السبب.. فقال : إن العقد بالمحرر بيننا ينص على أن أدفع غرامة قدرها ثمانون جنيها عن كل حفلة لا نمثلها، وبذلك يصبح المتجمد على حوالي ٧٢٠ جنيها..!

وحاولت أن أقنعه بأن عدم تقديم الروايات كان بناء على اتفاق بيني وبينه ولكنه لم يقتنع.. فاضطررت إلى الخروج من المسرح خاوي الوفاض.. ليس هذا فقط.. بل التمست لدي أصدقاء الحاج مصطفى حتى أقنعوه

بأن يكتفي بأخذ ممتلكاتي داخل المسرح فلا يطالب بالباقي..!!

وكانت هذه مأساة من المآسي التي كثيرا ما صدمتني في حياتي الفنية.. شخص كالحاج مصطفى – رحمه الله – ارفعه من الأرض إلى السماء فأقدم له إيرادا شهريا لا يقل عن الالف جنيه.. حتى يصبح من أصحاب الآلاف بعد أن كان أفقر من كده مافيش..! فماذا كان جزائي..!؟

كان جزائي أن يخفضني هو من السماء للأرض.. وإن يجعلني اشتهي الملاليم.. بعد أن كنت ألعب بالآلاف..

تزوجت بديعة

تركت التمثيل وركنت إلى الراحة، بعد أن تزوجت بريمادونة الفرقة " بديعة مصابني ".. ولكن بعد فترة من الوقت ضاق بي الحال.. وتضايقت من الراحة.. فداعبت خيالي فكرة طارئة..

لم لا أسافر إلى الخارج.. ؟

ترددت كثيرا.. وترددت بديعة معي..!

كشكش التقليد

وذات مساء طلبت إلى بديعة أن نذهب إلى روض الفرج لنشم الهواء هناك فذهبنا. وكنا نجلس في أحد المقاهي عندما سمعت أحد الأطفال الذين يوزعون الاعلانات وهم ينادون بصوت مزعج كأي بائع متجول :

" الحق يا جدع.. تعال شوف كشكش الأصلي يا جدع هنا ملك الكوموكودو الحق قبل ما يلعب.. "

نادت عليه بديعة فدار بينهما الحديث التالي :

– كشكش ايه اللي جابه هنا يا شاطر.. ؟

– كشكش هنا من زمان يا ست..

– امال كشكش بتاع عماد الدين ده يبقى ايه.. ؟

– ده تقليد يا ست.. كشكش الحقيقي هنا في روض الفرج..

فأصرت بديعة على أن تصحبني لنرى كشكش الحقيقي..!

وذهبنا لنرى مهرجا يقوم بحركات بهلوانية لا تتناسب مطلقا مع وقار الذقن الذي يحمله والجبة والقفطان اللذين يرتديهما..

لم تحتمل أعصابي البقاء أكثر من خمس دقائق.. فانسحت من الصالة.

وأشهد هنا أن الدماء قد اندفعت في شراييني.. ولولا أن بديعة كانت تلازمني وتهدئ من اندفاعي لأتيت بما لا تحمد عقباه..

الفصل الثالث

إلى أمريكا

وكانت هذه الحادثة بمثابة قنبلة قضت على كل ما يعتريني من تردد في سبيل السفر إلى الخارج.. فعدت إلى القاهرة لكي احجز محلين على الباخرة " غريبالدي " المسافرة إلى أمريكا الجنوبية..

وفي اليوم التالي قابلني صديقي الاستاذ محمود التوني.. ولما أخبرته عن سفري إلى أمريكا أصر على الحضور معي.. فقبلت.. كذلك أراد الاستاذ فريد صبري الحضور معنا..!

وبناء عليه انتقلنا إلى الاسكندرية لنستقل الباخرة " غريبالدي " وكنا خمسة أنا والسيدة بديعة والأستاذ فريد صبري والأستاذ محمود التوني والآنسة جوليت كريمة السيدة بديعة..

خيبة أمل!!

كنت أظن أن الباخرة " غريبالدي " الايطالية التي تحمل اسم هذا القائد الايطالي العظيم ستكون عظيمة بدورها فخيل إلي أنها ستكون ضخمة تثير الرعب في النفوس.. ولكن هذه الأحلام سرعان ما انهارت عندما رأيت الباخرة فإذا بها ضئيلة الحجم لا تزيد شيئا عن المراكب الشراعية التي " تتمشكح " على النيل.. وأخذت أفكر : كيف تستطيع

هذه الباخرة أن تنقلنا إلى أمريكا ؟ ترددت كثيرا.. ولكنني لم اجد مفرا من الركوب في نهاية الأمر..

صعدنا إلى سطح الباخرة.. وبعد ساعات من تحركها بدأ دوار البحر يداعب المسافرين فخروا جميعا يعانون من آلامه.. وشخص واحد هو الذي لم يصب بدوار البحر.. لا أدري لماذا..! أما هذا الشخص فهو شخصي الضعيف.

وبعد ٢٥ يوما خيل إلينا أنها ٢٥ عاما وصلت الباخرة إلى ميناء سأنتوس بالبرازيل.. ولست في حاجة إلى أن أقول أن الباخرة العادية تقطع هذه المسافة في سبعة أيام فقط..! وهذا دليل قاطع على أن باخرتنا العزيزة (غريبالدي) تختلف عن البواخر العادية بمراحل..

فرقة غنائية

وفي ساتتوس قابلنا أحد السوريين وهو يدير فندقا هناك.. سألني عن اسمي فأسرع الاستاذ محمود التوني يخبره أنني كشكش بك المعروف في الشرق فقال السوري :

– وايش بيعمل هايدي كشكش.. بيغني.. ؟!

فأمن محمود التوني على قوله أنني مغن على سن ورمح فدعانا إلى فندقه.. وفي المساء طلب الينا أن نحيي حفلة غنائية بالفندق.. فكانت مشكلة! إن صوتي والحمد لله لا يصلح للغناء بأي حال من الأحوال.. فما العمل ؟؟

وبعد تفكير طويل قررنا أن تقوم السيدة بديعة بالغناء وأقوم أنا ومحمود التوني وفريد صبري بدور " المذهبجية "...!

حضر الحفلة عدد كبير من وجهاء البلدة.. وكم كانت دهشتنا عندما نجحت الحفلة.. فغنت بديعة بعض الأدوار التي كانت تقدمها خلال رواياتي.. ونجحت أنا كمذهيجي نجاحا أدهشني شخصيا..!

فرقة من الهواة

وبعد أيام انتقلنا إلى سان باولو حيث قابلنا سوريا آخر من المهاجرين.. ولكنه يختلف عن الأول.. إذ ما كاد يسمع "كشكش " حتى قال :

– هايدي كلام فارغ.. فين دقن كشكش.. ؟

فأقنعته أن الذقن موجود في الحقائب.. ولكنه راح يؤكد أن كشكش موجود في البرازيل الآن ومنذ وقت طويل.. وكانت مأساة أخرى.. أنه يتهمني بأنني كشكش تقليد.. لأن كشكش الحقيقي موجود في البرازيل منذ أشهر طويلة!

فمن يا ترى يكون هذا الكشكش الحقيقي.. ؟

عرفت أنه جورج استاتي نجل المرحومة المظ استاتي أخت زوجة الاستاذ أمين عطاالله..

وهكذا تأبى الأقدار إلا أن يقوم أمين عطاالله بدور كشكش الحقيقي في سوريا ولبنان.. كما يقوم قريبة جورج استاتي بدور كشكش في البرازيل!

هذا بينما يلوص كشكش الحقيقي بين الشرق والغرب..! ما علينا..

تعاقدت مع السوري المذكور على أن نقدم بعض رواياتنا.. فسعيت إلى جورج استاتي وكان يرأس فرقة من الهواة واتفقنا على أن يعمل معي هو وفرقته فأخذنا ندربهم على القيام بأدوارهم.. وتعاقدنا مع أحد المسارح على أن نؤجر المسرح أربع ليال..

سوريا في البرازيل

وهنا أقف قليلا لاتحدث عن الصحافة البرازيلية والصحافة السورية في البرازيل وقبل أن أتحدث عنهما أقول أن السوريين في البرازيل يقومون بنفس الدور الذي يقوم به اليونانيون في مصر.. وإنني اذكر قول اللورد كرومر : " إذا حفرت في الأراضي المصرية وجدت إلى جوار كل جثة مصرية جثة أخرى يونانية "!

هذا القول ينطبق تماما على السوريين في البرازيل.. فعددهم كبير ولهم جالية محترمة ولهم عدة جرائد ومجلات..

تحدثت الصحف السورية عنا. فرحبت بنا ورفعتنا إلى القمة، أما الصحف البرازيلية فوقفت موقف الحياد.. لا هي رحبت بنا ولا أساءت الينا.. وكل ما قالته إنها تساءلت :

– ماذا يستطيع أولئك الناس أن يفعلوا.. ؟

اقترب موعد حفلتنا الأولى.. فسألت عن ايراد شباك التذاكر حتى الآن فإذا بي أذهل عندما علمت أنه قد يزيد على الألفي جنيه..!

إذن فالشعب البرازيلي ينظر إلينا نظرة أخرى غير نظرة الجرائد البرازيلية ورأينا أنه يجب علينا أن نكون محلا لهذا العطف والتقدير..

الحفلة الأولى

رفع الستار عن الفصل الأول من مسرحية " ريا وسكينة " فإذا بي أشعر بشئ من الرهبة عندما رأيت سادة الشعب البرازيلي وعظماءه يملأون الصالة فلا تستطيع عيناك إلا أن تقع على عظماء في كل مكان..

أدينا زواية " ريا وسكينة " وهي فصل واحد فشعرنا بخيبة أمل عندما وقف المتفرجون منا موقفا كله صمت ووجوم.. لا تصفيق ولا هتاف، فأيقنت أن البرازيليين لا يفضلون هذا النوع من التمثيل التراجيدي..

مسيو ريحاني

وما كان الستار يدل على الفصل الأخير من رواية " البرنسيس " حتى هب جميع المتفرجين يصفقون بحماس ويهتفون بأعلى أصواتهم :

– برافو مسيو ريحاني.. برافو..!

فكانت أول مرة اسمع فيها هتافا بالافرنجية!

وفي خلال الليالي الأربع التي مثلنا فيها يشرفني أن أقول أن ايراد الحفلة الواحدة لم يقل عن خمسمائة جنيه..!

وبعد هذه الحفلات خرجت الجرائد البرازيلية عن حيادها، فراحت تثني علينا ثناء حارا وراح الشعب البرازيلي يقابلنا في الحفلات والطرقات والنوادي بالتصفيق والهتاف والتحيات الحارة..

مباراة.. ومعركة

دعيت لمشاهدة مباراة في كرة القدم في سبورتنج كلوب بين الفريق البرازيلي وفريق الجالية السورية.. ويبدو أن العلاقات بين السوريين والبرازيليين لم تكن على ما يرام.. إذ راعني أن أجد فرقة كاملة من رجال البوليس البرازيلي يحاصرون اللاعبين حرصا على سلامتهم..وكان عدد المتفرجين يربي على المئة ألف متفرج..

وقد أوحى إلى الموقف أن المباراة لن تنتهي على خير.. وربما نالني بعض الأذي.. فانزويت في جانب ناء.. وكم كانت دهشتي بالغة عندما شاهدت البرازيليين قد ارتفعت أصواتهم بالتحية والهتاف لمسيو ريحاني، حتى كاد ضجيجهم يغطي ضجيج الهتاف للمباراة نفسها.. وفاز السوريون على البرازيليين فوقعت المأساة.. ودارت المعركة.. أما أبو الكشاكش وأعوانه.. ففص ملح وداب..!

إلى ريو دي جانيرو

ألح علينا الجمهور في سان باولو أن نحيي أربع حفلات أخرى.. ولكننا لم نجد مسرحا خاليا.. فاضطررنا للذهاب إلى ريو دي جانيرو، حيث أحيينا ثماني حفلات نجحت نجاحا منقطع النظير..

وهنا أقبل على الاستاذ فريد سبري ليرفع راية العصيان.. قائلا أنه يريد رفع مرتبة من ثلاثين جنيها إلى تسعين كما أكد لي أنه يتكلم بلسان محمود التوني أيضا.. وهو كذلك يطلب رفع مرتبه إلى سبعين جنيها.. وقبل أن يستفحل الخطر وتزداد الراية ارتفاعا اقنعت فريد صبري بالعودة إلى

مصر.. فاشتريت له تذكرة وودعته إلى الباخرة بعد أن نفحته بقشيشا كبيرا.. ثم رجعنا إلى سان باولو حيث أقمنا حفلتين أخريين..

إلى الارجنتين

وبعد ذلك قررنا السفر إلى الأرجنتين.. فجهزنا جوازات المرور وتقدمنا للكشف الطبي في مونتفيديو.. وإذا بي أفاجأ بنبأ مؤلم وهو أن الأطباء في مونتفيديو يبذلون عناية ضخمة في الكشف الطبي على النظر لاكتشاف حبوب التراكوما.. وكل مسافر مصاب بهذا المرض لا يسمح له بدخول البلاد بأي حال من الأحوال.. توكلنا على الله.. وتقدمنا.. فإذا بأعين الزميل محمود التوني مملوءة بحبوب التراكوما.. وبناء عليه تقرر عدم السماح له بدخول البلاد..!

وبعد التفكير الطويل توصلنا إلى حل المشكلة، وذلك بأن تسافر بديعة مع ابنتها عن طريق البحر إلى يونس ايرس لتنتظر هناك.. ونسافر أنا والتوني عن طريق الصحراء والادغال والسكة الحديد بمعاونة تاجر سوري كبير.. وبعد مجهود كبير استطعنا أن نصل إلى بلدة سان جوزيه وتقع في منتصف الطريق إلى بونوس ايرس..

ذهبنا إلى محطة البلدة ليفاجئنا ناظر المحطة بقوله :

– لقد تأخرتم قليلا.. فقد سافر القطار صباح أمس..

– ومتى يقوم القطار التالي.. ؟

– بعد أسبوع..!

– يا نهار زي بعضه.. أسبوع..!

وقعنا في مشكلة أخرى.. فالقرية صغيرة لا تضم سوى مائة بيت.. وبعد البحث والتنقيب بمعاونة أحد السوريين وصلنا إلى فندق القرية وهو عبارة عن غرفة واحدة قذرة ليس بها سوى سرير صغير كله أتربة وكنبة صغيرة. وكان معنا في ذلك الوقت ما يقرب من ألف جنيه.. وكان السؤال الذي يحيرنا هو : كيف نحافظ على هذا المبلغ الجسيم..؟

اتفقنا على أن يسهر كل منا ليلة لحراسة المبلغ بينما ينام الآخر. وهكذا

وبعد أسبوع خيل الينا أنه دهر.. جاء القطار..

حادث كاد يتطور

محمود التوني قنزوح ومسحوب من لسانه.. خرج من الديوان الذي كنا نجلس فيه إلى الطرقة ليسأل أحد جنود القطار عن أصله وفصله.. وقد أجابه التوني بأنه من سكان الشمال.. أي من سكان الولايات المتحدة.. ثم أسرع ليخبرني بهذا النبأ السئ.. ولم يكد ينتهي من سرد قصته حتى طرق الباب ودخل الجندي ليسألنا عن جوازات السفر.. ويتقنعر التوني مرة أخرى.. ويضع يده في جيبه الداخلي محاولا إخراج "الباسبورت" ليوقعنا في مصيبة ولكنني أسرع إليه فأذكره بأنه خال من الامضاء والتصريح بالمرور.. فيخرج التوني يده بيضاء من غير سوء..!

وبعد محاولات عديدة أقنعت الجندي بأننا لسنا غرباء وأننا مسافرون إلى بونوس ايرس حيث تقابلنا زوجتي وابنتي..

وفي محطة بونوس ايرس نزلت من القطار لأعانق زوجتي عناقا حارا قضى على كل شك في ذهن جندي القطار.. وإن كان قد خلق شك بديعة في عقلي !

وداعا.. يا أمريكا

وبعد جولة طويلة بين مدن الأرجنتين أقمنا خلالها عدة حفلات اتخذنا طريق العودة إلى البرازيل، وهو نفس الطريق الذي سلكناه في ذهابنا، فعرجنا على أرجواي ثم مونت فيديو وقد أقمنا في كل من المدينتين حفلتين.. وبعد ذلك استقر بنا المقام قليلا في ريودي جانير وعاصمة البرازيل بناء على طلب كثير من الناس حيث أقمنا عدة حفلات أخرى.. ومن ريو دي جانيرو ركبنا الباخرة إلى مرسيليا..

وقبل أن اختتم هذه الذكريات عن أمريكا لا يسعني إلا أن أقف قليلا لكي أؤكد أن اخواننا الامريكيين قد أثبتوا أنهم قوم كرماء لا يبخلون على المكافح بما يستحقه من عطف وتقدير واحترام.. نعم.. لقد قابلونا في أول الأمر بشئ من التحفظ والجمود، ولكنهم سرعان ما خرجوا عن جمودهم ليصفقوا ويهللوا ويهتفوا لنا ما داموا قد اقتنعوا بأننا نستحق كل هذا.. ويكفي أن أذكر أنهم في آخر أيامي بأمريكا كانوا يقابلون صوتي بحملة قوية من التصفيق بمجرد سماعة من خلف الكواليس قبل ظهوري على المسرح.. تماما كما يفعل جمهورنا المصري الكريم.

وبعد عام كامل قضيناه بين البرازيل والارجنتين وأقمنا خلاله ثلاثين حفلة ألقينا التحية للأرض الجديدة ونحن نكن لها عظيم الشكر والتقدير..

قد تسأل : ولكن لماذا أقمتم ثلاثين حفلة فقط خلال عام طويل عريض ؟ ثم تختتم سؤالك " اتهامنا بالكسل ".. فأدافع عن نفسي قائلا : إن المجال لم يتسع لأكثر من ذلك لأسباب كثيرة أهمها وأقواها أن المسارح هناك محدودة ومشغولة باستمرار. وكان من الصعب علينا أن نؤجر أحداها.. وإذا حدث وتمت المعجزة بأن أجرنا مسرحا فإنه لا يسمح لنا باستئجاره أكثر من أربع ليال.

باريس.. لم تضحك لنا

غادرنا الباخرة في مرسيليا، ثم أخذنا طريقنا إلى باريس.. وهناك أمضينا ما يقرب من خمسة عشر يوما قضيناها في هدوء تام وكسل منقطع النظير. فقد كان كل عملنا في باريس ينحصر في مغادرة الفندق صباحا للذهاب إلى محلات جالاري لافايت لقضاء النهار بأكمله هناك.. ثم العودة إلى الفندق كأي رجل أرستقراطي خالي شغل.. أما ماذا كنا نفعل في محلات جالاري فهو شراء ما تقع عليه العين من أدوات زينة وحقائب وملابس وأقمشة وقطع أثاث حتى نفد المبلغ المتواضع الذي كنا نحمله والذي لا يزيد على الألف جنيه.. وكان كل من يرانا أنا ومحمود التوني على هذه الصورة يخيل إليه أننا سياح هنود لم نر هذه الأشياء قبل الآن..

وبعد الـ ١٥ يوما التي قضيناها في باريس وجدنا أنفسنا أمام مشكلة صعبة فنحن نريد العودة إلى مصر وليس لدينا حتى مصاريف الرجوع.. وبعد تفكير مضن اكتشفنا الحل.. تماما كما اكتشف أرشميدس الصابونة..!

أرسلت تلغرفا إلى مصر اطلب فيه مائة جنيه لأن الحالة أصبحت

طين والعياذ بالله.. وبعد أيام وصلت المائة جنيه فركبنا الباخرة التي ستقلنا بعون الله إلى مصر الحبيبة..

خلافات في الانتظار

أنا لست شاعرا ولا أديبا حتى أستطيع أن أصور لحضرات القراء شتى الاحساسات التي كانت تجيش بصدري عندما أطلت علينا الاسكندرية ونحن في الاحساسات التي كانت تجيش بصدري عندما اطلت علينا الاسكندرية ونحن في كان قلبي يتحطم لشدتها.. وإن كان يحس في قرارة نفسه أنه قد ارتاح كثيرا إلى هذه الطرقات.. وأشعر بلذة عجيبة كلما زادت عنفا وقوة.. لذلك لن أضيع وقت القراء للتحدث عن هذه الاحساسات وتلك المشاعر لأنني واثق من أنني لن أخرجها إليهم في الصورة التي يرتاحون إليها، أو على الأقل التي ارتاح إليها.

نزلت إلى ميناء الاسكندرية ليقابلني الاستاذ أمين صدقي بالحضن، ثم راح يسرد لي قصة طويلة مضمونها أنه قد وقع خلاف بينه وبين الاستاذ علي الكسار انتهى بانشقاقهم عن بعض..

وبعد مباحثات ومفاوضات كونا فرقة وبدأنا عملنا على مسرح دار التمثيل العربي، وكانت السيدة بديعة مصابني وفتحية أحمد تتنازعان بطولة الفرقة النسائية. فقدمنا تمثيليات " قنصل الوز " و " مراتي في الجهادية " وبعد ذلك بدأت الحالة تستاء، فحدث خلاف شديد بيني وبين كثيرين من أعضاء الفرقة، فتركت الفرقة تعمل لحسابها وانسحبت من الميدان بعد شهرين.

قصة الخلاف بيني وبين بديعة

وقبل أن أطوي هذه الصفحة من مذكراتي يجب أن أقف قليلا لأسجل قصة من أعنف القصص التي صادفتني في حياتي.. فقبل أن أترك الفراقة تعمل على مسرح دار التمثيل العربي، حدث بيني وبين بديعة مصابني خلاف تطور بسرعة إلى أنشقاق ثم إلى افتراق.. وافتراق إلى الابد..!

لاشك أنك يا عزيزي القارئ ستسألني بدافع من الفضول عن سبب هذا الخلاف. وعهدي بالقراء والمتفرجين أنهم شديد والفضول.. ولكن لا يسمعني إلا أن اذكر هذه الأسباب وإن كنت أسلم مع القراء مبدئيا بأنها أسباب تافهة لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تؤدي إلى هذا الفراق الأبدي.. ولكننا شرقيون، والأعصاب الشرقية متوترة دائما ولا تتحمل التافه من الاتهامات.

كانت السيدة بديعة " قنزوحة " إلى أقصى حد ممكن، فهي دائما تحاول أن تفرض علينا سلطتها، ولا تكتفي بأن تفرض هذه السلطة على صغار الممثلين والعمال، بل تعدتها إلى كبار الممثلين ثم حاولت فرضها علي أنا.. كانت تتهمني دائما بأنني كسول وأنني خمول وأنني لا أصلح لأي عمل لأن قلبي ميت.. هل تدرون لماذا.. ؟ لأن حضرتها كانت تريد مني أن أقدم كل أسبوع رواية جديدة،

ولما كانت حضرتها لا تعرف أي مجهود يبذل في تأليف الرواية، وأي أعصاب تحطم في إخراجها.. وعمل بروفاتها.. فإنها بدافع هذا الجهل

المطبق بشئون التأليف والاخراج والتمثيل كانت تتهمني بأنني كسول وأنني لا أصلح لشئ. ولو كانت السيدة بديعة توجه إلى هذه الاتهامات سرا بيني وبينها لفكرت في قبول الاتهام أو عدم قبوله.. أما أن توجهه علنا وأمام جميع ممثلي وممثلات الفرقة فهذه مسألة لا تحتمل مجرد مناقشة وخاصة إذا علمنا أن هذه الاتهامات كثرت في الأيام الأخيرة لدرجة لفتت الانظار، وكانت سببا في أن كثيرين من الممثلين الذين يعملون معي كانوا يرفعون راية العصيان شيئا فشيئا..

وفي إحدى المرات بعد أن امتلأ وعاء الضب وفاض، وحاولت أن أوقفها عند حدها، فأعلنت لها رأيي فيها بصراحة، وأنها لا تخرج عن كونها راقصة.. وراقصة فقط.. ويبدو أن هذه الحقيقة المرة قد صدمت بديعة فراحت تكيل إلى الاتهام.. ومن هذه الاتهامات ما أثار غيظي لأنه يتعلق بحياتي الشخصية، فحضرتها جازاها الله خيرا تعتقد أن " البلياردو " رجس من عمل الشيطان، وأنه منكر يجب مكافحته.. فكانت تتهمني بأنني ألعب البلياردو.. تصوروا يا حضرات القراء.. سيدة (وقور) مثقفة تتهمني بأني ألعب البلياردو ؟!

وفي آخر جلسة لنا هاجت أعصابنا فأفلت زمام ألسنتنا فتبادلنا كثيرا من الكلمات النابية التي يخجل لساني من ذكرها الآن، وكان من الطبيعي أن تنتهي هذه الشادة باتفاق على الافتراق، ثم على الطلاق.

ركود.. ثم نشاط

انسحبت بانتظام إلى المقهى كأي رجل (خالي شغل) وفجأة " طب"

علي الحاج مصطفى حنفي، وبعد محاضرة طويلة عن ضرورة الكفاح واستئناف التمثيل، رجاني الحاج مصطفى أن أؤجر مسرحه برنتانيا، لأنه خال وهو في حاجة إلى بعض المال.. ولست في حاجة لأن أذكر حضرات القراء بالفصل البايخ الذي سبق أن عمله معي الحاج مصطفى..

ومع هذا دفعتني الثقة بالرجل إلى استئناف العمل بمسرحه، فحررت معه عقدا ألزمه فيه يدفع غرامة مائتين من الجنيهات إذا حاول فسخه. وفي هذا الوقت كان الأستاذ بديع خيري يعمل مع علي الكسار، فطلبت إليه أن يعود للعمل معي فوافق.. على أن يستمر في عمله مع الكسار. وقد يتساءل القراء لماذا عمل الأستاذ بديع مع الكسار، ولماذا لم يرافقني في رحلتي إلى أمريكا ؟ فأقول أن ظروفه العائلية لم تكن تسمح له بهذه الرحلة لأن والدته كانت مريضة وفي حالة خطرة.. وفي خلال العام الذي مكثناه في أمريكا ظل بديع يؤلف للكسار رواياته.. وحتى بعد عودتي طلب مني بديع أن ينشق عن علي الكسار فوافقت على أن يجمع بين العملين عندي وعند الكسار ما دام هذا الجمع لن يضرنا.. وفعلا ظل الأستاذ بديع يؤلف للكسار بعد ذلك لمدة أربع سنوات!

عود على بدء

وبعد أسابيع قليلة كنا نعمل خلالها على مسرح برنتانيا جاءني الحاج مصطفى حفني يلهث.. ولم يكد يلم أنفاسه حتى نظر إلي بمسكنة وألقى إلي بالحجر التالي، وهو أنه يؤسفه جدا أن يفسخ العقد لأن السيدة منيرة المهدية ألحت عليه في تأجير المسرح وستدفع له أجرا أعلى من أجري..

وطبعا لم يكن باليد حيلة، فخذت منه المائتي جنيه التعويض لكي أعطيه درسا في الاخلاق، ثم أوكلت على الله وعدا إلى المقهى..

وهكذا يقولون أن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين، أما أنا فكنت الدغ من الحجر الواحد عشرات ومئات المرات.. قد يرجع هذا إلى أنني طيب القلب، وبمعنى أصح " عبيط " على حد قول الكثيرين !

مسرح الريحاني

وفي أحد الأيام جاءني الأستاذ علي يوسف وأخبرني أن هناك شجارا كبيرا وقع بين الأستاذ يوسف وهبي وفرقته أدى إلى تعطل الفرقة.. ثم اقنعني بضرورة العودة إلى تمثيل التراجيدي والاستعانة ببعض أعضاء فرقة الأستاذ يوسف وهبي.. ولما كنت دائما أحن إلى التراجيدي – ولا أدري لماذا.. ؟ اقتنعت بوجاهة الفكرة وفعلا تعاقدت مع كثير من الفنانين والفنانات، اذكر منهم السيدات : روز اليوسف وعزيزة أمير وزينب صدقي وسرينا ابراهيم وماري منصور، والأساتذة حسين رياض ومنسي فهمي وحسن فايق وأحمد علام ومصطفى سامي وجيران نعوم ومحمود النوبي.. وآخرين..

وفجأة وجدنا أنفسنا أمام مشكلة مؤلمة.. وهي أين تعمل الفرقة ؟ ولما كنت قد لاقيت الأمرين وغير الأمرين من أصحاب المسارح فقد رأيت ضرورة إنشاء مسرح، وبعد البحث والتنقيب وجدت مقهى بجوار سينما الكوزمو الآن وهدمته وشرعت في بناء مسرح مكانه.. وقد استغرق بناء المسرح ثلاثة شهور كاملة تحملت خلالها كثيرا من الأعباء فكنت أدفع

أجور الممثلين وتكاليف البناء حتى أصبحت على الحديده.. كالعادة دائما.. فقد عودتني هذه الحديدة لعنها الله أن تلوح لي بشبحها المخيف من وقت لآخر..

وهنا أقف مرة أخرى لأزيح عن صدري عبئا ثقيلا أقلق راحتي فترة ليست بالقصيرة، كان حضرات الممثلين الأفاضل الذين تحدثت عنهم يكثرون على في الطلبات، فكانوا لا يرونني إلا ويطلبون أشياء خيالية. ولم يكتفوا بهذه الطلبات التي كنت أحققها مرغما حتى لا أفسد كل المجهود الذي بذلته، بل أعطوني مقلب لن أنساه ما حييت. فبعد انتهاء الثلاثة الأشهر وعمل البروفات اللازمة، وقبل العمل على المسرح بأيام قلائل، فوجئت بحضرات الممثلين الأفاضل يختفون واحدا بعد الآخر عائدين إلى مسرح رمسيس.. حدث كل هذا بعد أن أعددنا المسرح وعددنا له ست رويات أجنبية معربة.. اذكر منها "المتمردة" و "مونا فانا" و "اللصوص" و " الجنة ".. وبعد أن ورطونا ورطة دفعتني إلى استدانة ما يقرب من ٤٢٠٠ جنيه بفوائد باهظة جدا !!

ومع هذا ارتفع الستار بالمسرح الجديد لتقدم الحضرات المتفرجين الأفاضل تمثيليات تراجيدية..

كان ذلك في أكتوبر عام ١٩٢٧

آمال.. تنهار

وكان يراودني الأمل في أن يلازمني النجاح في هذه المرة كممثل تراجيدي فأحقق حلما جميلا طالما داعب خيالي الخصيب فترات طويلة،

وهو أن أستطيع دفع ديوني المتراكمة، والتي كان أصحابها قد بدأوا يظهرون لي العين الحمراء ويلوحون في وجهي بشبح المحاكم والمحضرين والحجز.

ولكن هذه الآمال سرعان ما انهارت.. وكان الفصل في ذلك.. وأقولها بكل حزن وأسى.. يرجع إلى صاحبة الجلالة الصحافة.. فقد قابلتني جلالتها بحملة شعواء لا أدري لهاكنها.. فانطلق رعاياها حفظهم الله يتهمونني بأنني دخيل على التراجيدي لأنه أرفع من مستواي المنخفض.. وإنني احاول محاولة سخيفة الدخول عليه بلا أحم ولا دستور.. والست راعية صاحبة الجلالة ليست في حاجة إلى تعريف أو تقديم.. فهي أطول والحمد لله من أن يقدمها شخص ضعيف مثلي، وإن كنت أصر على أنني من ضحاياها المقربين فلا أذكر أنها تخلت عن لعن سنسفيل جدودي كلما وجدت الفرصة سانحة لذلك. لا أدري لماذا..!؟

فهل تسمح لي جلالة الصحافة بأن ننتهز هذه الفرصة لكي أصفي شيئا من حسابي القديم وثأري الذي يبحث عمن يأخذ به..!

ما الذي كان يضيرها لو انتظرت حتى ترى بعض رواياتي ؟ وتستطيع الحكم لها أو عليها..!

على كل حال فقد عادت صاحبة الجلالة فانصفتني بعد ظلم، واعزتني بعد ذل.. في أواخر أيامي. والفضل في هذا للصبر والحمد لله.. ما علينا..!

ارتباك.. وأزمة

تأثر الرأي العام – كعادته دائما – بأقوال رعايا صاحبة الجلالة

فاقتنع بأنني دخيل على التراجيدي وأحجم الناس عن الاقبال على رواياتنا شيئا فشيئا. وبالتالي أخذت الحالة تزداد سوءا شيئا فشيئا، وراح إيراد الشباك يوزع على الدائنين تارة بالذوق وأطوارا بالقوة..!

وزاد الطين بلة.. هذه الحادثة المؤلمة :

جاءتني إحدى الممثلات المعروفات وطلبت إلي أن تعمل الفرقة أسبوعا لحسابها نظير مائة جنيه، فلم أمانع.. وبعد نهاية الأسبوع جردت الممثلة الحساب لتعرف ما لها وما عليها فإذا بها تحصل على ٦٥ جنيها فقط من المائة جنيه.. أي بخسارة قدرها ٣٥ جنيها.. فطلبت إلى أن تجدد الاجارة حتى تستطيع تغطية خسارتها.. ولكنني عارضتها خشية أن تزداد خسارتها.. فاقنعتني بأن الخسارة ستصيبها هي، وأنها (حرة في فلوسها) فاضطررت في نهاية الأمر إلى تأجير الفرقة لها أسبوعا ثانيا.. ولكنني كنت أشفق عليها فأخذت منها ٦٥ جنيها فقط وحررت معها عقدا على أنني تسلمت مائة جنيه.

وفي اليوم التالي جائتني الممثلة المذكورة أعلاه وأخبرتني أنه حدث كذا وكذا من جانب الممثلين وحضرات المشرفين على إدارة الفرقة.. وأنه بناء على ذلك فهي حل من التعاقد وطلبت فسخ العقد ولما كان هذا من صميم حقها فقد وافقت على فسخ العقد.. وطلبت إليها أن تنتظر قليلا حتى أستطيع رد الـ ٦٥ جنيها إليها..

ولكنها لم تنتظر.. لأنني فوجئت بعد ذلك بأيام بعدوى اللدود " المحضر " يدعوني إلى المحكمة في تمام الساعة كذا من يوم كذا.. لأن الممثلة

إياها رفعت على قضية !

والغريب في الموضوع أن الممثلة طلبت مائة جنيه لا ٦٥

ولكنني استطعت أن أقنع القاضي بالحقيقة فحكم لها بالـ ٦٥ جنيها فدفعتها بعد أن اقترضتها من أكثر من ٦٥ صديقا.!

صندوق الدين

تراكمت الديون على العبد لله، وازدادت الحالة سوءا بفضل أعوان صاحبة الجلالة الصحافة، لدرجة جعلت الدائنين لا يطمئنون على مصير ديونهم فعقدوا فيما بينهم اجتماعا لتقرير المصير.

وبعد مفاوضات ومناقشات واتهامات كانت توجه للفقير إلى ربه تعالى بلا أدنى شفقة أو رحمة قرر المجتمعون فرض رقابة قوية على المسرح في الداخل والخارج وفرض الأحكام العرفية على مصروفاتي وإيراداتي وإنشاء ما يسمونه بصندوق الدين لتوزيع الإيرادات بين الدائنين، حسب قانون تكلفوا بوضعه وتنفيذه!

وكان صندوق الدين هذا يشبع إلى حد كبير صندوق الدين إياه.. الذي أنشئ لانتشال مصر من ورطتها المالية فازدادت الورطة شدة وزادت حالة مصر المالية سوءا.

كان إيراد المسرح يدخل صندوق الدين (طوالي) دون أن يمر على جيوب العبد لله. ثم تتولى الهيئة المشرفة عليه صرف ما لابد من صرفه.. أما شخصي الضعيف فقد تكرم أعضاء الهيئة وسمحوا له بصرف سبعين

قرشا يوميا تعطى له من إيراد الشباك بعد انتهاء السهرة.. وطبعا أحنيت رأسي احتراما لصندوق الدين وتقبلت السبعين قرشا بكل احترام حتى لا أحرم منها.!

واستمر صندوق الدين يعمل بجد ونشاط منقطع النظير حتى نهاية ديسمبر عام ١٩٢٨

ولم يكن نشاط الصندوق ودقته المعهودة في رصد الحسابات وتوزيع إيراد الشباك والصرامة المتناهية التي كان حفظه الله يقابلني بها عندما ينقدني السبعين قرشا مساء كل ليلة. لم يكن كل هذا لمنع من توقف الفرقة عن العمل. بل ربما كان كل هذا هو سبب توقف الفرقة عن العمل بعد أن أصبحت الحالة كرب.

كش كش بيه

وبانتظام انسحبت إلى المقهى الحبيب لكي أتحدى حريفة الطاولة. وبعد أيام جاءني أحد الديانة لكي يقدم إلى نصيحة لوجه الله والوطن ولا يريد بعدها جزاء ولا شكورا. أما نصيحته فهي العودة إلى الجبة والفقطان والذقن.. أي العودة إلى تمثيل روايات كشكش بيه.. لعب الفار في عبي، لأنني تذكرت أن أيام كشكش بيه كانت باستمرار أيام عز ورفاهية ونغنغة. وكان قد دب خلاف بيني وبين الأستاذ بديع خيري فذهبت إليه فأزلنا أسباب الخلاف وعدنا إلى الصفاء.. وهنا يجب أن أذكر ملاحظة عجيبة وهي أنني لا أذكر مرة أنني افترقت عن بديع خيري إلا وانهالت على المصائب من حيث لا أدري، ولا نكاد نلتقي حتى تولى المصائب الأدبار.

كونا فرقة أذكر من أفرادها الأستاذ مُحَمَّد كمال المصري (شرفنطح) والقصري وحسين إبراهيم والتوني وجبران نعوم وألفريد حداد وسيد سليمان، أما ممثلات الفرقة فكن جميعا أجنبيات.

قدمنا روايات " جنان في جنان " و " ملكة الحب " و " الحظوظ ".. فلاقت هذه الروايات بعض النجاح ولكن سرعان ما تركنا النجاح ننعي حظنا من جراء الشدة المتناهية التي كان يعاملنا بها صندوق الدين، فلم يكن ينفق على المسرح أو الدعاية له كما كان يمسك يده عن الانفاق على أهم الأشياء. فهبطت الأسهم.. وبالتالي هبط إيراد الشباك بصورة لا تبشر بخير.

وكانت الفرقة تعمل مشاركة بيني وبين مدام مارسيل لانجلو. وقد عينت مارسيل مسيو أصلان لينوب عنها في الإشراف على الفرقة ومراجعة الحسابات و و. إلخ.

وبينما كانت الفرقة تسير بسرعة فائقة في طريقها إلى الانحدار جاءني مسيو أصلان وهو يصحب المرحوم الشيخ عبدالرحيم بدوي ثم سرد على مسمعي قصة طويلة مؤداها أن الشيخ عبدالرحيم يريد التعاقد معنا على أن تقوم الفرقة بجولة بين بلدان الوجه البحري تنتهي بالاسكندرية، لتقيم عدة حفلات. وسيقوم الشيخ عبدالرحيم بدفع خمسة وثلاثين جنيها عن كل حفلة، كما سيقوم بدفع مصروفات السفر والمبيت بالفنادق وشراء كل ما يلزم للفرقة من اكسسوار وغيره.

لا أكتمكم يا حضرات القراء أنني قد ذهلت عند سماع هذا النبأ

لأنني قد أيقنت في الحال أن مسيو أصلان قد عقد النية على خراب بيت الشيخ عبدالرحيم بلا شفقة أو رحمة.. حاولت أن أقنع الشيخ عبدالرحيم بالانسحاب ولكنه رفض بحجة أن الأرزاق بيد الله وأنه على المرء أن يسعى وليس عليه إدراك العلا.. ولما كنت واثقا من أنه ليس هناك علا ولا يحزنون فقد رثيت لحال الرجل وتأهبنا للرحيل..!

وبعد شهر وصلنا إلى الأسكندرية حيث أقمنا بعض الحفلات.. ثم جاءني الشيخ عبدالرحيم بعدها ليعلن لي بصراحة تامة أنه قد فقد الجلد والسقط وأنه قد أصبح على الحديدة والعياذ بالله، فأقنعته بأنني لا دخل لي بالموضوع مطلقا.. وزدت على ذلك أنني نصحته في أول الأمر فلم يقبل النصيحة فعليه أن يصفي حسابه مع مسيو أصلان لأنه المسئول الأول والأخير عن خسارته.. وتركت لهم الفرقة يتصرفون فيها كما يشاءون..

ثم أخذت خمسة من الممثلين الذين أثق فيهم وذهبت لأعرض على مدير فندق سان استفانو أن يسمح لنا بتقديم روايات قصيرة لرواد فندقه فلم ير جناب الخواجه المدير مانعا من التجربة وجس النبض..

أزمة.. وحلها

بدأنا العمل بفندق سان استفانو فشعرت برهبة في أول الأمر لأن معظم المتفرجين كانوا وزراء حاليين وسابقين.. وكم كان سروري عظيما عندما رحب بفننا العظماء ترحيبا كبيرا وأعلنوا هذا بصراحة لمسيو بولييجر الذي رأى ألا يترك الفرصة قبل أن ينتهزها.. فطلبني وعرض علي أن أقيم بالفندق.. فذهلت لأن أجر المبيت بالفندق ١٦٠ قرشا على الأقل في

الليلة الواحدة.. في حين أنني كنت أقطن في فندق متواضع نظير ٤٠ قرشا بما فيه الطعام غير الطعام.. ولكن جناب الخواجة أجرى لي خصما كبيرا فجعل الأجرة جنيها لليوم الواحد.. جنيه! يا نهار زي بعضه.. وبعد إلحاح شديد اتصل مدير سان استفانو بالفندق الذي كنت أقيم فيه وطلب إليهم إرسال حقائبي فجاءت الحقائب ولم أجد مفرا من البقاء بفندق سان استفانو لأجالس الوزراء والعظماء. ويسرني أن أقول إنني استطعت خلال هذه الفترة أن أكسب صداقة عدد كبير من وزرائنا..

مضت الأيام وحسابي بالفندق يتضخم وأنا لا أدفع أبيض ولا أسود..

قد تسأل : ولكن كيف كنت انفق ما أحصل عليه من أجور.. ؟ فأقول والأسف يملؤني إنها كانت تذهب هباء على مائدة الروليت. لعنها الله.

حساب.. عسير

وفي إحدى الليالي أرسل جناب الخواجة بولييجر في طلبي.. يا نهار زي بعضه! جالك الموت يا تارك الصلا.. أيقنت في الحال أن المدير يرسل في طلبي ليأخذ الحساب القديم والجديد ولما كان العمر مش بعزقة فقد أقنعت نفسي بأن أحسن طريقة للتهرب من المأساة التي ستقع هي أن أزوغ من الباب الخلفي وكان الله بالسر عليم، وفعلا زوغت ولم أكد أسر بضع خطوات حتى اصطدمت في الظلام بشخص واقف أمامي.. وكان الشخص هو مدير الفندق والعياذ بالله. رحب بي كالمعتاد ثم علت وجهه

ابتسامة صفراء ودعاني إلى غرفته.

وفي غرفته رفع رأسه قليلا ليلقي على مسامعي الحكمة الفرنسية البالغة التي تقول " الحساب الكويس ينتج صداقة متينة ".

وكانت هذه الحكمة بمثابة زمارة الانذار. مادامت الحكاية فيها حساب فأمري لله أردت أن أقنع مدير الفندق بأنني لا أسعى إلى هذه الصداقة المتينة وبالتالي لا داعي مطلقا للحساب الكويس، ولكن نظرة واحدة من عين جناب المدير الفتاكة كانت كفيلة بانكماشي في مقعدي لا أحرك ساكنا.. ثم أخرج المدير كشف حسابي من مكتبه وأعطاني اياه. ونظرة سريعة إلى الكشف اقنعتني بأنني مدين للفندق بـ ١٠٢ من الجنيهات. وليس في جيبي ما يكمل الاثنين جنيه فما بالك بالمائة. إنها مأساة.

ثم قرع المدير الجرس ليحضر أحد الخدم فيطلب إليه المدير إحضار حسابي. وكم كانت دهشتي عندما دخل أحد الموظفين ومعه كشف طويل ورزمة من الأوراق أم مدنة وبكل احترام انحنى الموظف أمامي ليعطي كشف الحساب ومعه رزمة البنكنوت.

يانهار زي بعضه.!

– إيه ده يا خواجه.! الفلوس دي علشان مين. ؟

– علشانك انت.

– علشاني أنا. ؟ بتاع ايه ؟

ثم روى لي قصة مؤداها أنه غير مسموح للفندق بلعب الروليت إلا يوما واحدا في الاسبوع، وقد سعى المدير تحت اسمي بطلب التصريح بيوم آخر، ولما كان اسمي لم يعد بعض الأصدقاء في الجهات المسئولة فقد صرح له بيوم آخر... وكان صافي الايراد **٢٥٤** جنيها، خصم منها **١٠٢** جنيها فتبقى لي **١٥٢** جنيها أخذتها والفرحة تكاد تقلب كياني رأسا على عقب وأنا أردد :

– صحيح يا خواجه.. الحساب الكويس ينتج صداقة متينة!

فاطمة رشدى ويوسف بك وهبي

عدت إلى القاهرة لكي أجد خلافا كبيرا قد قام بين السيدة فاطمة رشدي وبين يوسف بك وهبي انضم فيه المرحوم عزيز عيد إلى السيدة فاطمة رشدي، وانتهى الخلاف بانشقاق.. فكون عزيز وفاطمة رشدي فرقة وقررا العمل على مسرحي فأجرته لهما نظير أربعة جنيهات في الليلة.. وظلت الفرقة تعمل على مسرحي ما يقرب من شهر ونصف، ويعلم الله أنني لم أقبض مليما عليها واحدا من إيجار المسرح طيلة هذه المدة..!

ثم عدت للعمل مع فرقتي على مسرحي فقدمنا روايات " علشان بوسه " و " آه م النسوان ! " و " ابقي اغمزني."

عودة إلى بديعة

ثم عدت ثانية إلى الأسكندرية في الصيف لأعمل على مسرح كازينو زيزينا وهنا أقف قليلا لأسجل قصة..

بعد أن افترقنا أنا والسيدة بديعة رأت السيدة بديعة أنها قد فقدت شهرة كان يمكن أن تحصل عليها لو أنها ظلت تعمل معي.. فدبرت المقلب التالي :

دعاني أحد أصدقائي الشوام لتناول الغداء على مائدتهم فذهبت اليهم لكي أجد السيدة بديعة حاضرة معهم.. وبعد الغداء والذي منه بدأ التكتيك.. فتحدث الأصدقاء عن الخلاف بيني وبين السيدة بديعة، وكيف أنه خطأ في خطأ، وأنه لابد من الصلح والعودة إلى الحياة معا.. وبعد نقاش طويل لم أر مانعا من تجربة حظي مع بديعة مرة أخرى.. فعملنا معا.. وقدمنا روايات نجحت فيها بديعة فعلا وحصلت على شهرة واسعة.

ولكن بعد أيام عادت أسباب الخلاف وبصورة أقوى من الأولى، فاقتنعنا أن الحياة مع بعض أصبحت مستحيلة واتفقنا على الفراق مرة أخرى.. ولكن الفراق تم في هذه المرة على يد محام...

وبعد فترة قضيتها في التسكع بين المقاهي جاءني بعض أولاد الحلال وطلبوا إلى أن أسافر إلى فلسطين لإحياء بعض الحفلات هناك.. ترددت كثيرا ولكن قبلت في نهاية الأمر.. فتعاقدنا وأخذت مائتي جنيه عربونا.. ثم توكلنا على الله وسافرنا...

ولا أريد أن أطيل في وصف تفاصيل رحلتنا بين ملاهي فلسطين.. فكل ما أستطيع أن أقول إن الرحلة لم تكن موفقة بدليل أن ابن الحلال المذكور أعلاه قد خسر العربون الذي أعطاني إياه.. ومكثت مدينا بهذه المائتي جنيه للرجل مدة طويلة فلم أسدده له الإ عام ١٩٣٦، أي بعد

خمس سنوات تقريبا.

أول فيلم

وبعد عودتنا من فلسطين جمعنا شمل الفرقة للعمل على مسرحي بعماد الدين. وفي أحد الأم جاءني استيفان روستي ومعه المصور السينمائي " كاريني ".. وبعد التحية والذي منه فاجأني المسيو كاريني بدون سابق انذار بأنه يريد إخراج فيلم سينمائي صامت يتولى العبد لله بطولته.. عارضت بشدة لأني كنت اعتقد في ذلك الوقت أن السينما عمل خاسر.. وبشئ من اللف والدوران استطاع استفان وكاريني أن يبلفاني بهذا العمل في الفيلم..

أما الفيلم فهو " صاحب السعادة كشكش بك " وقد كلفنا ما يقرب من ٤٠٠ جنيه وكنت أقوم فيه بحركات صامتة.. ثم عرض الفيلم فلاقى نجاحا وإقبالا جعلني أفكر في ترك في ترك المسرح للعمل على الشاشة البيضاء.. ولكن الله سلم..

عدنا إلى المسرح لنقدم رواية " أموت في كده "..

وهنا أقف قليلا لأروي هذه القصة :

كانت إدارة المطبوعات قد فرضت رقابة شديدة على المسارح فلا تستطيع فرقة أن تقدم رواية إلا بعد أن تمثل في حفلة خاصة أمام مدير المطبوعات ورجاله.. وبناء عليه حددنا موعدا لعرض رواية " أموت في كده " أمام رجل الرقابة.. وقبل أن أستمر في القصة أقف مرة أخرى لأقول إنني منذ أن اشتغلت بالتمثيل ومنذ قدمت روايات.. لا أذكر مرة أننا انتهينا

من إعداد رواية قبل عرضها ولو بيوم واحد فكان الجزء الأخير من الفصل الثالث لا ينتهي بأي حال من الأحوال إلا صباح عرض الرواية..

جاء إسماعيل هيرين باشا وأعوانه لمشاهدة الرواية للموافقة عليها فتذكر في الحال أن الفصل الثالث لم يتم بل قل نبدأ فيه بعد.. فكانت مشكلة من أعوص المشكلات التي فاجأتني في حياتي المملوءة بشتى أنواع المشكلات...!

ارتفع الستار عن الفصل الأول. ثم أسدل بين بتصفيق سعادة مدير المطبوعات وعبارات الاستحسان التي كانت تصدر منه.. ثم ارتفع الستار مرة أخرى عن الفصل الثاني وأسدل بنفس الطريقة.. أي تصفيق حاد.. وعبارات استحسان..

ثم بدأت المشكلة..

وبعد ربع ساعة ارتفع الستار عن الفصل الثالث ليظهر حسين إبراهيم متنكرا في زي " بنت بلد " راح يسير على المسرح بخطوات كلها إغراء وفتنة مقلدا بنات البلد وخفة بنات البلد.. وعلا الهتاف وارتفع الضحك وفجأة.. وبسابق انذار.. يقع حسين ابراهيم على خشبة المسرح مغمى عليه ونسرع نحن إليه لنأخذه إلى غرفة الاسعاف...

وكان سعادة إسماعيل شيرين باشا رجلا طيب القلب فأبى إلا أن يصعد على المسرح ليطمئن على صحة الممثل ولكن الممثل كان فاقد الوعي.. فتمنى له الباشا الشفاء العاجل واستأذن في الانصراف قائلا : إنه لا مانع لدية مطلقا من يمثل الرواية. مع أنه لم يشاهد الفصل الثالث..

حاولت أن أستبقيه قليلا معللا ذلك بأن حسين ابراهيم سرعان ما يعود الى صوابه فيستأنف تمثيل الفصل وأنا موقن بأن حسين ابراهيم لن يفارقه الاغماء إلا بعد أن أن يغادر شرين باشا المسرح حسب الخطة الموضوعة.. فغادر شرين باشا المسرح.. وكانت مشكلة.. لعب حسين ابراهيم دورا كبيرا في حلها..

مكافآت

وفي هذا الوقت قررت الحكومة منح مساعدات مالية للفرق التمثيلية فشكلت لجنة لدراسة هذه الفرق والتمثيليات التي تقدمها لتقرير مكافأة لها.. ولما جاءت اللجنة برئاسة سعادة العشماوي بك " باشا " أبدت إعجابها الشديد برواياتي.. وأقف قليلا لأعترف هنا بأن الدكتور طه حسين بك – عضو اللجنة – كان يعطف على فرقتنا عطفا أدبيا كبيرا .. لأنه كان يرى أننا أناس واقعيون نصور الحقيقة.. وتصوير الحقيقة أشق كثيرا من التحليق في الخيال..

ثم قررت اللجنة منحي مكافأة سنوية قدرها ٣٥٠ جنيها.. فوضعتني بذلك في المرتبة الثالثة من الأربع فرق التي منحت مكافآت.

ما علينا...

وفي الصيف... وبعد فترة خمود.. انتقلنا للعمل على مسرح الفانتازيو بالجيزة فقدمنا عدة روايات.. وفي عام ١٩٣٢ وجدنا أنفسنا أمام مشكلة كبيرة.. وهي مشكلة إيجار المسرح فقد كنت أدفع للمسيو عاداه صاحب المسرح إيجار سنويا قدره ١٠٠٠ جنيه بالتمام مع إنني لم أكن أعمل أكثر

من ستة شهور كل عام فطلبت إليه أن يخفض الايجار قليلا لأن الحالة لا تسمح.. ولكنه رفض ففسخنا العقد..

فانتقلنا للعمل على مسرح الكورسال.. محل داود عدس الآن فنقلنا أنا وبديع خيري رواية " توباز " للمؤلف المعروف مارسيل بانيول.. وكانت قد لاقت نجاحا كبيرا على المسارح الفرنسية والانجليزية... نقلناها إلى اللغة العربية ثم بدأنا في البروفات والاخراج.

ومرة اخرى أقف لأتحدث عن إدارة المطبوعات.. فقد رفضت تقديم الرواية.. لماذا.. ؟ لأن الراوية تضم إهانة إلى إحدى المدارس الحكومية بفرنسا.. وأصر الرقيب على عدم تقديمها... وبعد مفاوضات وذهاب ومجئ عدة مرات اتفقنا على أن أذكر في الرواية أن هذه المدرسة ليست مدرسة حكومية وإنما مدرسة أهلية...!

تصوروا يا حضرات القراء..!

ارتفع مسرح والكورسال عن الرواية المذكورة ويؤسفني أن أعلن هنا أنها قد فشلت فشلا ذريعا.. وذريعا جدا.. فكان إيراد المسرح في الليلة الأولى ثلاثين جنيها. هبط إلى ستة جنيهات في الليلة الثانية.. ثم أربعة في الليلة الثالثة.. واستقر على ثلاثة جنيهات في الليلة الرابعة. فاذا علمنا أن مسرح الكورسال كامن أكبر مسرح في ذلك الوقت استطعنا أن تتخيل البضعة أشخاص القلائل الذين قدموا لنا الثلاث جنيهات ليتناثروا في المسرح هنا وهناك. بالاختصار كنا نمثل لأنفسنا!

الرواية في حد ذاتها قوية جدا. وموضوعها ممتاز فما سبب فشلها ؟ !

لقد اكتشفت أخيرا أن جمهورنا الحبيب لا يريد طعاما دسما، لأن معدته لا تقوى على هضمه. فقدمنا له سلسة من التهريج والاستعراض تحت اسم " المحفظة يا هانم " وأذكر هنا أنني كنت أخجل من نفسي عندما قدمت هذه الرواية. بل وأقر هنا بأني مازلت حتى الآن أخجل من نفسي كلما تذكرت هذا التهريج.!

ولكن. ومع الأسف الشديد نجحت الرواية نجاحا منقطع النظير كدت أشك بعده في أن جمهورنا يتمتع بشئ من الذوق الفن !

ويبدو أن الهيئة التي كانت تمنح المكافآت، أو بمعنى أصح التي كانت تستطيع أن تعز من تشاء وتذل من تشاء كانت تتخذ الجمهور مقياسا للنجاح بدون اعتبار لأي شئ آخر.. لأننا ما كدنا نقدم الرواية العالمية " توباز " حتى نقلتنا الهيئة بقدرة قادر من المرتبة الثالثة إلى المرتبة الرابعة، أي أصبحنا والحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه.. في المؤخرة.. ما علينا!

وبانتظام عدنا إلى المقاهي !

الفصل الرابع

إلى المغرب

وكانت السيدة فاطمة رشدي وعلي يوسف يقومان في ذلك بجولة بين تونس والجزائر ومراكش... ثم عادا.. ولم أكد أقابل علي يوسف حتى راح يلقي على مسامعي أسطوانة طويلة مؤداها أننا قد أسأنا إلى أنفسنا إساءة بالغة.. إذ كيف تترك الذهب الرنان في الغرب، ونجلس على المقاهي نظيفي اليد.. وفي النهاية اقتنعت بضرور القيام برحلة إلى المغرب لنغترف من هذا الذهب الملقى في عرض الطرقات.. ولما كنا لا نملك لا أبيض ولا أسود ولا أجرة السفر إلى هناك فقد طلبت إلى علي يوسف أن يسبقنا إلى تونس ليتعاقد باسمنا ويجمع اشتراكات.. وو.. الخ.. ثم يرسل الينا قليلا من الذهب الموعود لنستطيع السفر به بمجرد إرساله... وفعلا سافر على.. وقمت بجمع شتات الفرقة لعمل البروفات اللازمة وإعداد الروايات التي سنمثلها أمام رجال الذهب وهنا صدمتنا مشكلة أخرى..

وهي افتقارنا إلى مطربة جيدة تؤدي الأدوار الغنائية التي كانت تؤديها السيدة بديعة مصابني.. بحثنا.. وبحثنا حتى استطعنا العثور على مطربة مش بطالة.. فبدأنا البروفات ونحن في انتظار الذهب الذي سيرسله الينا علي يوسف على أحر من الجمر..

وفجأة.. وبعد أن كدنا ننتهي من بروفاتنا.. وبدون سابق انذار تركتنا

المطربة السالفة الذكر لتعمل مع إحدى الفرق الأخرى.. فحاولت أن أستميلها وأسترضيها ولكن بدون جدوى..

بحثنا مرة أخر.. ومرات.. ففشلنا لأن جميع المطربات كن يعملن في الفرق الأخرى..

وفجأة جاءني من يخبرني أن السيدة بديعة مصابني تعلم أننا نجد في البحث عن مغنية تقبل السفر إلى الجزائر وهي يسرها أن تخبرنا أنها على أتم الاستعدادات للقيام بهذه المهمة. ففكرت طويلا.. ولكنني لم أجد مفرا.. فقبلت..

ثم مكثنا أياما وأسابيع في انتظار الذهب الموعد الذي سيرسله لنا الاستاذ علي يوسف.. ولكن الذهب لم يحضر.. بل ولم يصلنا خطاب واحد من حضرة الدليل أو على حد قول رجال الفن حضرة " الامبرازاريه "..

وبعد فترة طويلة كدت أفقد فيها الأمل في نجاح علي يوسف فوجئت به أمامي بلا سابق انذار.. وكان خاوي الوفاض لا يحمل ذهبا أو فضة.. أو حتى " نيكل" ، فقد رفضت بلدية تونس أن تعطيه شيئا إلا بعد أن ترى الفرقة بالعين!..

وبعد ذلك وجدنا أنفسنا أمام مشكلة مسعصية الحل.. الفرقة على أتم الاستعداد للسفر إلى تونس لتغترف من الذهب الرنان الذي ينتظرها في مسرح البلدية.. وليس معنا واحد في المائة مما ستتكلفه الرحلة من مصروفات!! ونظرت إلى علي يوسف نظرة طويلة ثم أخبرته بصريح العبارة

أنه المسؤل الأول والأخير عن هذه الورطة وتسويد وشنا أمام الممثلين!! وبناء عليه طلبت إليه أن ينقذنا من هذه الورطة بوسيلة من الوسائل.. كما أقنعته بأنه بأنه لن يعجز عن الحصول على أجرة سفرنا..

غاب عنا علي يوسف.. ثم ظهر وقد جذبت سنارته الخواجه "جاكومو " وقد أبرم معه اتفاقا على أن يقوم الخواجة المذكور بالاتفاق على الفرقة حتى تصل إلى تونس، في نظير كذا في المائة من الأرباح.. فحمدنا الله الذي لا يحمد على مكروه سواه.. ثم توكلنا على الله وسافر علي يوسف أولا ليمهد لنا الطريق وبعد العدة لاستقبالنا واستئجار المسرح الذي سنعمل عليه.. الخ

ثم سافر باقي أعضاء الفرقة في إحدى البواخر " القشاشة " التي تتمشكع بين كل مواني البحر الأبيض المتوسط.. أما بديعة فقد سافرت إلى باريس لبعض الأعمال بعد أن اتفقنا على أن نتقابل في مارسليا.. وبعد ثلاثة أيام من رحيل الفرقة سافرت أنا والخواجة " جاكومو " في باخرة أخرة سريعة إلى مارسيليا.

وفي مارسيليا تقابلنا بالسيدة بديعة، ثم انتظرنا الباخرة التي تضم الفرقة.. وكان مفروضا أن تصل بعدنا بأربعة أيام أو خمسة.. ولكنها للأسف لم تحضر.

وأخيرا وبعد أسبوعين كاملين شرفت الفرقة لكي تعلن أن باخرتهم قد حجزت خارج إحدى المواني لاكتشاف اصابات طاعون بين ركابها.

(ديانه... من تونس)

وبعد أيام نقلتنا إحدى الباخر إلى ميناء بيروت بتونس، لكي نصطدم بمشكله أخرى.. كان علي يوسف قد استأجر مسرح بلدية تونس لاثنتي عشرة ليلة.. وقد وصلنا متأخرين أربع ليال كاملة..

وكان حضرة " الامبرازاريه " قد تبرع بايراد أربع ليال أخرى للجمعيات الخيرية بتونس.. أي أن كل ما كان سيدخل جيوبنا من هذه الرحلة المؤلمة هو إيراد أربع ليال فقط!! وياليت الأمر قد وقف عند هذا الحد فقد قدم لي سعادة " الامبرازرايه " كشوف حسابات تقنعك بصراحة تامة بأنه مدين بألف ومائتي جنيه بالتمام كان سعادته قد دفع منها إيجار المسرح وطبع التذاكر والاشتراكات والاعلانات في الجرائد. وو.. الخ

ثم مصيبة أخرى.. وما أكثر المصائب التي وكانت تنزل على رأس العبد لله.. فقد وزع علي يوسف تذاكر اشتراكات لحضور ١٢ حفلة ومادمنا ولم نقدم إلا ٨ حفلات فقط فإننا سنتهم بالسرقة والاغتصاب!! وبناء عليه ذهبت إلى أحد المحامين لكي يعلن أننا على أتم الاستعداد لأن ندفع لحضرات المتفرجين فرق الأربع حفلات...

قدمنا أول رواية.. ولم ينزل الستار عن الفصل الثالث حتى طلبت إيراد الشباك.. فجاءني إيراد الشباك يصحبه طابور طويل من حضرات الدائنين التونسيين... هذا يطلب مائتين وذاك يطلب خمسمائة وثالث يطلب مائة وخمسين ومع كل منهم كمبيالات تسد العين!! وكان إيراد الشباك مائتين وخمسين.. لم يستقر في جيبي منها جنيه يوحد الله..!!

ولننس المشاكل والأزمات المالية قليلا لكي أقول أن الشعب التونسي قد قابلنا بترحيب كبير كاد يشعرني أنني لست ممثلا وإنما ملكا أو امبراطورا.. كما كان التونسيون يتهافتون على شباك التذاكر بحماسة جارفة كانت تأتي على جميع التذاكر فيما لا يزيد على نصف ساعة... والذي أريد أن أقوله أيضا هو أن هذا العطف والتقدير الأدبي العظيم كان له كبير الأثر في تخفيف الصدمات المالية التي كانت تنهال علينا من كل جانب...

صديق.. قديم

وكانت الفرقة، وهي تتكون من أربعين ممثلا وست راقصات وممثلات تنزل في فندق متواضع عندما جاءني شخص أنيق وراح يتودد إلي معلنا أنه ممثل هاو قديم وأنه معجب جدا بي وكان يتتبع أخباري في مصر والأقطار الشقيقة وأمريكا بإهتمام زائد...

وبناء عليه فإنه يدعونا جميعا للاقامة بفندق " اوتيل ماجستيك " وهو أفخم فندق بتونس بتخفيض كبير جدا لأنه صديق صاحب الفندق... فعلا انتقلت الفرقة إلى فندق الكبير بأسعار خيالية.. وبعد أيام علمت أن حضرة الممثل الهاوي المذكور أعلاه لم يكن ممثلا ولا يحزنون وإنما مبعوث الحكومة الفرنسية المستعمرة ليتتبع حركاتنا فيري ما إذا كنا نبث في الشعب التونسي مبادئ صد الاستعمار الفرنسي أو لا!!

ولما كنت لا أهدف إلى هذه الناحية الثورية في ذلك الوقت فقد قويت الصداقة بيني وبين حضرة الممثل الهاوي لاعتقادي أنه يستطيع أن يقدم لنا خدمات كبيرة...

راية العصيان

انهارت علينا الكوارث من كل جانب. ووقف الخواجه " جاكومو " ليعلن سنسفيل جدود الحظ السئ الذي أوقعه في طريقنا.. ولم ينس أن يولي سنسفيل جدود أولاد الحرام جانبا كبيرا من هذه اللعنة. وأولاد الحرام هنا هم حضرة " الامبرازاريه " علي يوسف الذي جر رجليه إلى هذه الكارثة!!

وبعد إقامة الثماني حفلات في تونس التي خرجنا منها صفر الأيادي قمنا بجولة بين صفاقس وسوسه وبنزرت عدنا منها جميعا خاوبي الوفاض أيضا لنستأنف العمل مرة أخرى بتونس.. وكان مفروضا أن نقدم حفلتين، وكان مفروضا أيضا أن تكون إحدى هاتين الحفلتين خيرية تحصل إحدى الجمعيات الخيرية على إيرادها بالتمام.

وقبل الحفلة الخيرية اتصلت بمندوب الجمعية وشرحت له القصة من طأطأ لسلامو عليكم، وطلبت إليه أن تساهم الجمعية بجزء من إيراد الشباك في مصروفات الفرقة وهي مصروفات باهظة... فنظر إلى حضرة المندوب نظرة كلها ازدراء، وقبل رفع الستار عن الفصل الأول وقف المندوب أمام الميكروفون ليعلن للمتفرجين ببلاغة منقطعة النظير أننا قوم طماعون لا نراعي واجب اللياقة والاحترام.

ففي الوقت الذي يرحب فيه الشعب التونسي بنا ويفتح لنا صدره نبخل عليه بحفلة خيرية، ثم راح يكيل لنا الاتهامات بأبشع الصور وانتهى من كلمته بأن أعلن أن نجيب الريحاني هو عدو الشعب التونسي رقم

واحد!! وقد حاولنا مرارا أن نمنعه من الاسترسال في كلمته ولكن بدون جدوى... وكان لهذه الخطبة الرنانة أكبر الأثر في نفوس المتفرجين إذ راحوا يهتفون بسقوط عدو الشعب رقم (١) مع كثير من العبارات النابية.

وبعد أن هدأت المعركة قدمنا رواياتنا تبرعا لوجه الله والتاريخ والشعب التونسي الذي مازال يصر على أنه قد أكرمنا واحترمنا وفتح لنا صدره في الوقت الذي كان يرسل لنا فيه (الديانه) الواحد بعد الآخر ليستولوا على إيراد الشباك أولا فأولا ثم يتركونا ننعي حظنا وفقرنا..

ما علينا !!

في السجن

وأخيرا رأيت الانتقال بالفرقة إلى الجزائر لإحياء بعض الحفلات هناك.. ولكن أعضاء الفرقة رفعوا راية العصيان : شرفنطح مريض ويريد العودة إلى مصر.. والراقصات جميعا بلا استثناء فضلن البقاء في تونس ولا يردن الذهاب.. لا إلى الجزائر... ولا إلى مصر، فكل منهن اتلمت على نصفها الحلو من بين المعجبين بتونس... ووالدة الفريد حداد مريضة وهو يريد السفر إلى مصر في الحال للاطمئنان على صحتها!! أما بديعة فهذا هو برنامجها اليومي بلا تغير أو تعديل.. تغادر فراشها صباحا فترسل برقية إلى ابن شقيقها أنطوان عيسى بالقاهرة تخبره فيها أنها ستعود حالا إلى القاهرة وترجوه إعداد الكازينو.. ثم يقابلها أولاد الحلال فيقنعونها بالبقاء فترسل برقية أخرى إلى انطوان تلغي فيها البرقية الأولى!! وفي الظهر تلمس حالة البؤس الذي تعانيه فترسل برقية ثالثة تلغي فيها البرقية الثانية وتؤيد

البرقية الأول حتى احتار أنطوان عيسى أي البرقيات نلغي وأيها يجب العمل به...

وبعد مفاوضات ومناقشات اقتنعت الفرقة بالسفر إلى الجزائر ما عدا الراقصات فقد رفضن ترك الأحباب فرأيت أن أعاملهن بشدة فأدخلتهن ليلة السفر إلى غرفهن وأغلقت عليهن الأبواب بالمفاتيح.. وفي الصباح ذهبت لأوقظهن فوجدتهن في نوم عميق جدا لدرجة أنهن رفضن الاستيقاظ، وبالتالي مغادرة الفراش للسفر معنا.. فجمعت حقائبهن معي وتوكلنا على الله لاعتقادي أنهن سيلحقن بنا في الطريق إن لم يكن من أجل العمل فمن أجل الحقائب التي كانت تضم كل ممتلكاتهن..

وفي محطة الجزائر فوجئت بفرقة كاملة من رجال البوليس يتقدم أفرادها نحونا وفي مقدمتهم حضرة الضابط الذي ما كاد يرانا حتى رفع صوته العذب جدا وهو يقول :

– فين المسيو نجيب الريحاني ؟

فتقدمت إليه بكل شجاعة قائل :

– أنا يافندم... أي خدمة ؟

– أيوه.. فين الشيكارات

– شيكارات!! شيكارات إيه يا حضرة الضابط ؟

وبعد نقاش وسين وجيم عملت أن الشيكارت في لغتهم معناها الشنط.. وأن الموضوع يتلخص في أن حضرات الراقصات الفضليات قد

أبلغن البوليس أنني سرقت حقائهن!! وبدون تحقيق قادني الضابط إلى القسم ليودعني التخشيبة... ويعلم الله أنني سجنت " فطيس " وأن جميع الدلائل والقرائن كانت تدل على أن مدة سجني ستطول وتطول جدا من غير أن يعلم بسجني أحد... لأن تونس والجزائر ليس بهما قنصل مصري واحد للدفاع عن الرعايا المصريين هناك.. ولكن رحمة الله هبطت علي فجأة في شخص صديقي الممثل الهاوي، أو بمعنى أصح مبعوث حكومة الاحتلال إذ تحدث إلى الضابط بالتليفون وأمره بأن يطلق سراحي ويقدم لي الإعتذار الكافي.. وطبعا لم يكد الضابط يفتح لي الباب حتى انطلقت إلى الحرية بلا اعتذار ولا يحزنون!!

امبرازاريه جديد

وكان على يوسف قد انفصل عنا، فرأيت أن أرسل بديع خيري إلى سواكرس ليقوم بعمل الامبرازرايه فمهد لنا الجو.. وقد اتبع بديع طريقة جديدة لاقت نجاحا كبيرا. ذهب إلى سوكراس ثم جمع حوله الناس وراح يلقي عليهم محاضرة طويلة في الدين والأخلاق تتخللها الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.. ثم دعاهم للصلاة وقام بمهمة الإمام... حتى إذا ما انتهى من الصلاة ألقى عليهم سلسلة أخرة من المواعظ ختمها بأن هناك فرقة تمثيلية ستحل ببلدتهم قريبا، ولم ينس أن يذكر لهم أن الفرقة تتكون من رجال مؤمنين يخشون الله.. ولم يكد يخرج من جيبه التذاكر حتى نفذت في الحال......

ثم اتصل بنا تليفونيا لكي يخبرني بالنجاح الذي لاقاه، ثم طلب إلى أن

تظهر الفرقة بمظهر التقوى والورع.. ولم نكد نصل إلى سوكراس حتى خيم على الفرقة ستار من التقوى فأطلقنا على الحواجة جاكومو المدير الإداري للفرقة اسم " حسن "!! وفي سوكراس أقمنا حفلتين نجحتا نجاحا كبيرا، ثم انتقلنا إلى عناية حيث أقمنا ثلاث حفلات نجحت أيضا.. وما كادت الأحوال تتحسن وتستقر في جيوبنا بعض الأموال حتى فوجئنا بدائني الاستاذ علي يوسف مرة أخرى لكي يحصلوا على كل مامعي ويتركونا على الحديد.

انتقلنا إلى تبسا فأقمنا ثلاث حفلات نجحت بدورها، ثم انتقلنا إلى جلما حيث أقمنا حفلات أخرى ؟ انتقلنا بعدها إلى عين بيضة فأقمنا بها ليلتين فقط،لأن البرد هناك كان شديدا لدرجة أن حضرات الممثلين كانوا ينزعون الشبابيك في منتصف الليل ليضعوها فوقهم أو يحرقوها ليستدفئوا بنارها.!

وبعد ذلك انتقلا إلى مدينة الجزائر وكان مسرح البلدية قد تعاقد مع فرق أجنبية فلم يسمح لنا إلا بليلة واحدة، أقمناها فنجحت لدرجة جعلت المتفرجين يذهبون بعد الحفلة إلى مدير المسرح يرجونه إقامة ليلتين أخريين، فوافق المدير بعد الالحاح الشديد على أن ندفع تعويضا للفرقة الأجنبية، فدفعنا التعويض وقدمنا حفلتين نجحتا أيما نجاح...

رمضان كريم

وكان شهر رمضان قد أقبل علينا، فأرسلنا بديع خيري إلى مصطفي ثم ليهئ لنا الجو.. فاتبع نفس الطريقة التي تدور حول الصلاة والوعظ

والدين ومخافة الله.. وهنا أقف قليلا لأسجل هذه الحادثة الطريفة :

كنت أستيقظ من نومي حوالي الساعة الثانية عشرة ظهرا فأتناول إفطاري وغدائي معا بعيدا عن أعين الرقباء من الصائمين.

ثم أغادر الفندق أنا وجناب المسيو أبو علي " لنتخذ طريقنا إلى المسرح.. وفي الطريق داعبنا " الكيف " فأسرعنا إلى المسرح واختبأنا في دورة المياه ودخنا سجائرنا... ثم ذهبنا إلى مدير المسرح لنقطع الوقت... وقت الصيام... ولم أدر أننا قد قطعنا وقتا طويلا جدا... حتى خرجنا فشاهد الخواجة " أبو علي " شخصيا يأكل ساندويتشا فأسرع إليه لينهال عليه ضربا قاسيا وهو يقول له بلكنته الأجنبية : يا فاسق.. يا قليل الدين!! إزاي تاكل في رمضان وفي وقفت الصيام فارتفع صوت الرجل وهو يقول :

– لكن.. سيدي المدفع ضرب

ولست في حاجة لأن أذكر أننا قد تظاهرنا بالصيام أكثر من اللازم... فتجمع حولنا الأهالي وهم يشيدون بقوميتنا وتمسكنا الشديد بالدين فحملونا على الأعناق وهم يهتفون بحياة المخلصين لله!!

معسكرات..!!

وهنا بدأت راية العصيان ترتفع لدرجة مخيفة بين ممثلي وممثلات الفرقة، فانقسموا إلى معسكرين : أحدهما رئاسة السيدة بديعة والآخر برئاسة الاستاذ جبران نعوم.. وكان المعسكران متفقين عند نقطة واحدة هي ضرورة العودة إلى مصر وفي الحال.. وكانوا يعقدون بينهم الاجتماعات

السرية للوصول إلى أحسن طريق لتحقيق هدفهم.. وأترك تذمر الممثلين الآن لأني سأعود إليه فيما بعد بصورة أوضح..

انتقلنا بعد ذلك إلى عين تموشنت حيث أقمنا حفلتين، ثم رحلنا إلى وهران فأقمنا هناك حفلات طيلة سهرات ليلة الوقفة وثلاثة أيام العيد.. ثم عزمنا على السفر صباح رابع أيام العيد إلى معسكره...!!

وفي الصباح قمت مبكرا لكي نتأهب للرحيل.. وما كدت أفرك عيني حتى رأيت بطاقة بجواري على السرير.. ألقيت عليها نظر سريعة فارتجفت من ناصية رأسي إلى أخمص قدمي فقد كانت البطاقة من السيدة بديعة تقول فيها إنها يؤسفها أن تضطر إلى العودة إلى مصر.. ثم لم تنس أن تنبهني إلى أنني عندما أستيقظ لكي أقرأ الرسالة تكون هي قد وصلت إلى الجزائر..

قرأت الرسالة فدرات بي الأرض، ثم ارتديت ملابسي على عجل وذهبت إلى إدارة الفندق فأخبروني بأن السيدة حملت حقائبها وسافرت.. فذهبت إلى الممثلين فوجدتهم مجتمعين يتهامسون، فنظرت إليهم نظرة طويلة ثم قالت :

– ماذا تنتظرون ؟! اتفضلوا روحوا مصر...

ثم ألقيت عليهم درسا قاسيا لم أترك خلاله كلمة واحدة من كلمات السب ولعن سنسفيل الجدود إلا رددتها بقسوة وعنف..

ثم عدت أدراجي إلى الفندق، وكان بديع قد رحل منذ أيام إلى معسكره فاتصلت به تليفونيا وطلبت إليه أن يعود في الحال لأننا سنعود

إلى مصر، ولكنه أخبرني أنه قد باع جميع التذاكر على طريقته المعهودة وأنه ليس من السهل العودة لأن الجمهور سيفتك به وسيتهمه بالسرقة حتى ولو رد إليه نقوده!! فوضعت السماعة.. وبعد قليل جاءني الممثلون والممثلات لكي يعتذروا عما بدر منهم من إساءة فصعرت لهم خدي.. ولكنهم ألحوا في الاعتذار بصورة جعلتني أشفق عليهم فقررنا السفر.. وبأسرع من لمح البصر أعددنا كل شئ وصعدنا إلى السيارات.

الريحاني نمرة ٢

اجتمع الممثلون في فنوهم ليدبروا مؤامرة محكمة الأطراف تعينهم على العودة إلى مصر، فوقف القلعاوي ليعلن للجميع أن وعاء صبره قد امتلأ وفاض، وأنه لا مناص من مفاتحتي في الأمر بصراحة وجرأة فانبرت له إحدى الممثلات تقول له ما معناه أنه يقف أمامهم الآن عنتر بن شداد في حين أنه لا يكاد يراني حتى تتلاشى الشجاعة ويقف أمامي كالقط، فاحتج القلعاوي على هذه الاهانة بشدة وأخبرهم أنه لا يخشى أحدا مطلقا حتى ولو كان نجيب الريحاني... ثم وعدهم بأنه سيأتي بما لم تستطعه الأوائل، فسألته إحدى الممثلات :

– وحتعمل إيه يا سي قلعاوي..؟

فوقف القلعاوي ليقدم لهم مشهدا تمثيليا عما يتوقع أنه سيحدث.. فوضع يده في جيب بنطلونه كما كنت أفعل في كثير من الأحيان وهو يقول:

– أنا الآن نجيب الريحاني.. وعندما يدخل نجيب سيقول : بون سوار

عليكم جماعة..

ثم أخرج يده من جيبه وجلس في مكانه وهو يقول :

– أما الآن فأنا القلعاوي.. سأقف هكذا وأقول له : لا يا سي نجيب.. لا بون سوار ولا يحزنون..!!

ثم عاد إلى تمثيل شخصيتي وهو يقول :

– ليه يا قلعاوي. كفا الله الشر. فيه حاجة!

وبعد ذاك عاد إلى شخصيته كقلعاوي ليرد علي :

– حاجة بس ؟ فيه حاجات كثير. بصراحة احنا خلاص زهقنا وروحنا طلعت احنا منقدرش نستنى هنا أكثر من كده.

ثم وجه نظره إلى الممثلين والممثلات وهو يقول :

– مش كده ولا إيه يا اخوانا ؟

فأبدي له الممثلون ليعلنوا بصوت واحد :

– أيوه.

ثم استرسل القلعاوي :

– شايف يا سي نجيب. احنا بصراحة منقدرش نقعد كده ولا ساعة واحدة..

انت جنيت علينا برحلتك المقرفة دي.. انت راجل بطال ماتعرفش رحمة..

أنت. أنت!!

وكنت سائرا في ذلك الوقت أمام غرفة المؤتمر فسمعت هذه اللهجة الخطابية التي كان القلعاوي يقدمها بكل شجاعة وقوة وإن كنت لا أعلم لمن توجه هذه الاتهامات الخطيرة فدخلت لأستجلي حقيقة الأمر.. فتحت الباب ودخلت وأنا أردد جملتي التقليدية :

– بون سوار يا جماعه..!

فرد الجميع بصوت واحد :

– بون سوار يا أستاذ..!

فوجهت كلامي للقلعاوي وأنا أقول :

– إيه الخطابة دي يا قلعاوي.. فيه حاجة ؟!

– لا أبدا يا أستاذ. إزيك. احنا مشتاقين جدا والله.!

ثم راح يكيل لي عبارات الاعجاب والثناء بلا قدر، فعملت في الحال أن هناك في الأمر شيئا

وبعد البحث والاستقصاء علمت جميع تفاصيل هذه المؤامرة..!

اعتذار... ومقلب

وفي الطريق انتقيت إحدى الممثلات وأسندت إليها أدوار بديعة وظلت الممثلة طيلة الطريق تتدرب على الدور وتحفظه، ولم نكد نصل إلى معسكره حتى أسرعنا إلى المسرح لكي نقوم بعدة بروفات حتى نطمئن إلى

نجاح الممثلة المذكورة في تأدية أدوار بديعة

وارتفع الستار عن الفصل الأول والثاني والثالث بنجاح منقطع النظير، ثم أقمنا حفلتين، وألح الجمهور في ضرورة إقامة حفلتين أخريين فأقمناهما بنجاح كبير..!!

وبعد منتصف الليلة الخامسة بقليل، أي بعد إسدال الستار على الفصل الثالث دعيت إلى التليفون لكي أستمع إلى صوت بديعة وهي تتحدث من الجزائر.. اعتذرت اعتذارا حارا جدا، ثم قالت ستأتي في قطار الساعة السادسة صباحا، ثم طلبت إلى توزيع الاعلانات في كل مكان.. وفعلا طبعنا إعلانات بأن السيدة بديعة أكبر ممثلة في الشرق والغرب ستعمل مع الفرقة ليلتين أخريين.. ولم أنم هذه الليلة لأنني خشيت ألا أستيقظ مبكرا لمقابلة بديعة على المحطة.. وفي الصباح المبكر، في البرد القارس، ذهبت إلى المحطة لأنتظر أكبر ممثلة في الشرق والغرب.. ووصل القطار.. ولكن السيدة بديعة لم تحضر!! انتظرت القطار الذي يليه، ولكنها لم تكن من ركابه! " وكانت الإعلانات قد ملأت جميع شوارع وطرقات معسكره...

فكان مقلبا.. وكانت مشكلة !

ولكننا لم نيأس.. فقدمنا الحفلة السادسة، وما أعظم سروري عندما اكتشفت أن الجمهور لم يحس بأي نقص في أفراد الفرقة بل اعتقد أن بديعة تمثل فعلا.. فقدمنا الحفلة السابعة فنجحت بدورها !!

إلى مراكش..!

ثم انتقلنا إلى تلمسان على حدود مراكش، ومن هناك أرسلنا بديع خيري إلى الرباط، وفي الطريق تعرف بديع ببعض المراكشيين فأفهموه أن رباط هي مدينة الذهب الرنان فتعاقد بديع مع أحد المسارح على أن نعمل به سبع ليال كاملة.. وفي الرباط أقمنا سبع حفلات نزلت بنا إلى الحضيض.. فكان إيراد الحفلة يتأرجح باختيال بين الستة جنيهات والثمانية.. ولم تتعد حفلة واحدة الثمانية جنيهات.. وبذلك فقدمنا كل ما نملك.. وياليت الأمر وقف عند هذا الحد.. بل خرجنا من الرباط محملين بالديون.!!

ومن الرباط سافرنا إلى الدار البيضاء، حيث أقمنا حفلات نجحت بعض النجاح فدفعنا ديوننا التي جلبتها علينا رباط وبقى معنا ١٢ جنيها... ثم ازمعنا السفر إلى مراكش..!!

وهنا أقف قليلا لأتحدث عن الممثلين فأقول إن الكلفة قد ارتفعت بيننا تماما، وأصبحنا أصدقاء وزملاء لأنني أجبرت على ذلك.. فأصبح من حق أي ممثل أو عامل أن يصفعني على قفاي وهو يقول :

– " إزيك يا بو النجب " فأبتسم للعامل، لأنني كنت مضطرا للابتسام حتى لا يغضب العامل فيثور ويقرر العودة وخاصة بعد أن ضربت لهم بديعة أسوأ مثل.

ورويدا رويدا أخذت الكلفة تعود ولكن من جانب الممثلين والعمال لا من جانبي أنا. وإليكم الدليل.

اجتمع الممثلون أمام السيارة في انتظار الصعود إليها للسفر إلى مراكش. وكما يقضي الاتيكيت الجديد الذي فرضته على الظروف الأخيرة وقفت بخشوع أمام باب العربة ثم انحنيت قليلا وطلبت إلى الممثلين والممثلات والعمال أن يتفضلوا.. فتفضلوا.. وبعد أن صعدوا جميعا أردت الصعود ولكن جميع المقاعد كانت ممتلئة. فنظرت إلى الجالس بجوار الباب وكان حميدو الميكانيكي فطلبت إليه بخشوع أن يفسح لي مكانا بجواره فقال لي بالحرف الواحد :

– " مكان إيه وبتاع إيه.. احنا ناقصينك كمان علشان تفلقنا.. روح اقعد في حته تانيه " ثم نظر إلى الممثلين فابتسموا مهنئين له على هذه الشجاعة التي أشعرتهم أن في السويداء رجالا.

ولكن بلا جدوى.. فودعتهم ثم استأجرت عربة لتنقلني إلى مراكش. وفي مراكش علمت أن عربة الممثلين قد تعطلت في الصحراء وأنهم سيمضون ليلتهم في العراء يعانون وطأة البرد القارس حتى يرسل إليهم محافظ مراكش من يأتي بهم. وهكذا ترون يا حضرات القراء أن الله لا يضيع أجر المساكين.

ولا أكتمكم انني فكرت جديا منذ تلك اللحظة في العودة إلى مصر ولكن العقبة الوحيدة التي كانت تصدمني في ذلك الوقت وتمنعني من العودة هي عدم وجود مصروفات العودة.

الحاج تهامي الجيلاني

وفي مراكش رحب بنا الحاج تهامي الجيلاني الملقب بالباشا وهو محافظ

مراكش وحاكمها ترحيبا كبيرا جدا فدعانا جميعا للاقامة بقصره الفخم.. وكان يأخذ منا التذاكر ليوزعها بنفسه على كبار المحافظة الذين كانوا يوزعونها على الناس.. ولقد أقمنا عدة حفلات في قصر الحاج تهامي نجحت كبيرا بفضل معونته وتشجيعه لنا..

وبعد الانتهاء من آخر حفلة أقبل علينا الحاج تهامي وشكرنا باسم أهل مراكش شكرا أثلج صدورنا ثم سلم كل ممثل مظروفا صغيرا كان يحوي الف فرنك.. أما مظروفات الممثلات فكانت تضم زوجا من الغوايش الذهبية المراكشية الفاخرة.. وكان ظرفي يضم عشرين ألف فرنك.. فانتهزت الفرصة وأعطيت جميع الممثلين والممثلات حسابهم وطلبت إليهم العودة إلى مصر.. وبعد دفع حساب الممثلين تبقى لدى ما لا يزيد عن ٣٦ جنيها في حين أن أقل ممثل كان مائة جنيه بالتمام..

وفي طنجه استقل الممثلون والممثلات الباخرة إلى مصر..

واستقللت أنا باخرة أخرى إلى مرسيليا لأنني أزمعت الاقامة في باريس أسبوعا يريحني من عناء الرحلة والمضايقات والبلاوي الزرقة التي كان ينزلها ممثلو الفرقة فوق رأسي بلا أدنى شفقة أو رحمة.

في باريس

ما كدت أصل إلى باريس حتى هبط الرقم إلى ما دون العشرين.. وبعد أيام هبط إلى دون العشرة ثم راحت البقية الباقية تتناثر يمينا وشمالا بلا أدنى شفقة أو رحمة..

هناك مثل يقول إن اليهودي عندما يفلس يعود إلى دفاتره القديمة..

وكأي يهودي محترم عدت إلى دفاتري القديمة فتذكرت أن المسارح في تونس والجزائر ومراكش كانت تأخذ من إيراد الشباك ضريبة ٦ % لجمعية المؤلفين والملحنين احتججت بأنني مؤلف هذه الروايات فقالوا إذا أردت الاحتجاج فاحتج في باريس لدى المركز الرئيسي للجمعية.

وبهدوء اتخذت طريقي إلى جمعية المؤلفين والملحنين لأحتج رسميا.. وهناك قابلتني سكرتيرة مدير الجمعية وكانت حسناء.. وكلمه من هنا وكلمه من هناك تعرفنا ببعض فعزمتها على شاي ثم على عشاء... ثم سهره ثم... حتى أصبحت على الحديدة.. والحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه..

ولكن الله سلم فقد أثمرت مجهودات السكرتيرة الحسناء وصرفت لي الجمعية ١٢٠ جنيها جنيه ينطح جنيه.. فامتدت مدة إقامتي إلى أسبوعين رحلت بعدها إلى مرسيليا ثم إلى الاسكندرية.. فوصلت القاهرة وفي جيبي خمسين جنيها بالتمام لتذر االرماد في أعين العواذل والحساد!

الفصل الخامس

فيلم في باريس

بينما كنت في باريس دعاني مسئول كبير بشركة جوفون السينمائية لزيارة الشركة والاستديو وكان معي الأستاذ اميل خوري وكان سكرتير تحرير جريدة الأهرام ثم دعته الظروف السياسية لترك منصبه ثم السفر إلى باريس للراحة والاستجمام هناك.. ولم نكد ننتهي من زيارة الاستوديو حتى عرض علينا المسئول الكبير أن تخرج الشركة فيلما أتولى أنا بطولته. فرفضت في الحال، ولكن الأستاذ أميل خورجي طلب إلى الكبير أن يترك له المسألة ليحلها، فترك له الكبير مهمة اقناعي.. وبعد الحاح ومفاوضات اقنعني بضرورة إخراج هذا الفيلم فقبلت.. ثم استأذنت في السفر إلى مصر على أساس أن يرسل إلى الأستاذ أميل خوري بمجرد الانتهاء من الترتيبات الخاصة بعمل الفيلم..

عدت إلى مصر كما سبق أن قلت ومعي خمسون جنيها.. وفي الحقيقة أنني كنت قد اعتزمت ألا أكون فرقا تمثيلية بعد الآن وألا اتحمل هذه الأعباء الجسمية وخاصة بعدما لاقيته من تعنت الممثلين وعتوهم أثناء رحلاتي المختلفة التي قمت بها خارج البلاد وبعد أيام نفدت الخمسون جنيها وعدت إلى صديقي العزيز الفقر.. ويؤلمني أن فقري في هذه المرة كان مؤلما ومخيفا لأنني اضطررت في نهاية الأمر إلى بيع الكثير من الحلي

والهدايا التي كنت أحتفظ بها.. بل وبعت كثيرا من قطع أثاثي..

وبانتظام نزلت شيئا فشيئا من مطاعم الدرجة الأولى إلى الثانية ثم استقريت أخيرا في إحدى مطاعم الفول المدمس فاتخذت منها سلاحى ضد الجوع صباحا وظهرا ومساء..

وكان صاحب المطعم اليوناني يظن أنني أشرف مطعمه المتواضع باستمرار تواضعا مني وتقديرا للخدمات الجليلة التي يؤديها للمجتمع والانسانية.. ولو علم جنابه أنني ما فعلت ذلك إلا لشدة الفاقة لزالت الانحناءات والتعظيمات والتحيات التي كان يمطرني بها بلا حساب!

إلى باريس

وبينما كنت أقوم بجولتي بين المقاهي ومطاعم الفول المدمس جاءني خطاب من الأستاذ إميل خوري يدعوني إلى باريس ولم ينس أن يرفق الخطاب بحوالة بخمسين جنيها، فاتصلت بالأستاذ بديع خيري وطلبت إليه أن ينتظر مني رسالة أستدعيه فيها ليلحقني بباريس ثم توكلت على الله وعبرت البحر... هناك مثل يقول إن المنحوس الذي يعبر البحر ثلاثة مرات يفارقه النحس... ولعل هذا يرجع إلى أن نحسي كان من نوع مكين.

ما علينا..!!

وصلت إلى باريس لكي يقابلني الأستاذ إميل خوري بترحيب منقطع النظير.. وبعد سين وجيم علمت لماذا كان الأستاذ إميل خورجي يلح علي في أن أترك له المهمة ليتصرف. فقد تعاقد مع الشركة باسمه ثم طلب إلى أن أدخل معه شريكا في الثلث... ولم أجد مفرا من القبول. فقبلت..

ثم أرسلت إلى بديع فحضر، ثم بدأت أنا وبديع نضع سيناريو وحوار الفيلم، ولكنني فوجئت بالاستاذ أميل خوري يعطينا سيناريو وحوارا باللغة الفرنسية ثم طلب إلينا نقله حرفيا إلى العربية... قرأنا السيناريو والحوار فإذا بهما من أسخف ما يمكن ولا يصلحان مطلقا للسينما.. حاولت أن أحتج ولكن الاستاذ أميل أصر علي أن هذا هو سيناريو الفيلم فترجمناه وأمرنا لله

أضف إلى سخافة القصة واسمها " ياقوت " أننا كنا نعاني أزمة شديدة جدا في الممثلين فكنا نجمعهم من الطرقات.. ولكي أضرب لكم مثلا : أقول إننا احتجنا إلى شخص يمثل دور أستاذ يلبس جبه وقفطان وعمامة فلم نجد واضطررنا في نهاية الأمر إلى إسناد الدور إلى رجل فرنسي لا يعرف من اللغة العربية حتى اسمها.. وتستطيع أن تتخيل العناء الذي بذلناه مع هذا الشخص وأمثاله..

وباختصار... لم أطمئن إلى هذا الفيلم وأيقنت من أول وهلة أنه سيسقط سقوطا فاحشا.. فإذا أضفنا إلى هذا وذاك أن الفيلم أخرج في ستة أيام فقط لأن الأستاذ اميل كان يسعى دائما ضغط الميزانية إلى أقصى حد ممكن استطعنا أن نقتنع بان الفيلم سينزل إلى الحضيض طوالي.

الدنيا لما تضحك

ولم نكد ننتهي من إخراج الفيلم حتى جاءني خطاب من الحاج مصطفى حفني يدعوني فيه إلى العودة إلى مصر في الحال لكي نبرم اتفاقا للعمل على مسرحه فعدنا أنا وبديع. ولما كنت – كما سبق أن قلت –

أصبحت لا أطمئن للممثلين مطلقا فقد اتفقت مع الحاج حفني على أن يتولى هو إدارة الفرقة وأقوم أنا بدوري كأي ممثل نظير نسبة مئوية من الأرباح.

ثم بدأنا العمل فوضعت أنا وبديع رواية "الدنيا لما تضحك ".. ولم نكد نقدمها للجمهور حتى شعرت برهبة لم أدرك مداها.. نعم.. لقد صفق لي الجمهور طويلا وبعد غيبة دامت ١٨ شهرا تقريبا، فشعرت في الحال أنني كدت ارتكب خطأ فاحشا عندما فكرت في ترك المسرح والتمثيل إلى الأبد.. وأنني كدت أحرم هذه الآلاف من الناس فني الذي ارتفعوا به إلى القمة فصفقوا له وهتفوا بأعلى أصواتهم.. فكدت أحس وأنا أستمع إلى هتافهم المدوي بأنني كنت على وشك التقصير في حقهم ومقابلة الجميل بالنكران.. وكأي ممثل هاو طربت.. وطربت جدا لدرجة أقنعتي تماما بألا أفكر في ارتكاب هذه الحماقة مرة أخرى.. حماقة اعتزال المسرح والتمثيل..

وفي الصيف انتقلنا إلى الاسكندرية لنقدم بعض الحفلات فنجحت نجاحا كبيرا ثم عدنا إلى القاهرة لنقدم روايات " الشايب لما يتلدع " و " والدنيا جرى فيها إيه " فنجحت بدورها نجاحا منقطع النظير بدأت بعده أشم نفسي وأنتقل رويدا رويدا من محل الفول المدمس إياه إلى مطعم أفخم شيئا فشيئا حتى عدت إلى حالتي الأولى.. فحمدت الله من الأعماق.

إلى السينما.. مرة أخرى

وبعد ذلك جاءني أحد الممولين السنمائيين وعرض علي أن يخرج لي

فيلما نظير ثمانمائة جنية وخمسة في المائة من الإيراد.. ولا أكتمكم يا حضرات القراء أنني بعد الدرسين الذين تلقيتهما على أيدي رجال السينما قد أزمعت عدم العودة إلى الظهور على الشاشة البيضاء ولكن الثمانمائة جنيه لم تكن بالمبلغ الذي يتركه الإنسان يفلت من يده وخاصة إذا كان في حاجة اليه بل إلى مائة جنيه منه.. وبناء عليه اتفقنا.. ثم جاءني المنتج بمخرج أجنبي قال إنه قد الدنيا وأنه قد أخرج روايات كذا وكذا، لكبار ممثلي انجلترا ثم ختم قوله بأنه هو الذي سيتولى إخراج فيلمي.. والحقيقة أنني لم أطمئن إلى هذا المخرج فأسرع المنتج يخبرني أنه قد أخرج رواية " بواب العمارة " لعلي الكسار ثم طلب إلي ألا ألقي حكمي على المخرج إلا بعد أن أشاهد هذه الرواية..

عرضت الرواية فكنت أول من أسرع إلى السينما لمشاهدتها، وكذلك كنت أول من أسرع بالخروج منها !! ثم أسرعت إلى المنتج لكي أضع أمامه العربون والعقد مشفوعين بـ " يفتح الله.. " لأن العمر مش بعزقة.. فراح المنتج يتحايل على قائلا إن المخرج كان مقيدا أثناء إخراج " بواب العمارة " أما في هذه المرة فإنهم سيتركون له مطلق الحرية للعمل كما يشاء.. فقبلت..

ولست في حاجة لأن أقول إن المخرج كان يتعنت معي وكان يكلف الممثلين الاتيان بحركات تدفع إلى البكاء أكثر مما تدفع إلى الضحك، وكنت أحتج على ذلك باستمرار لدى المنتج، فكان لا يأبه باحتجاجاتي وينحاز إلى صف المخرج.. فإذا أضفنا إلى هذا أن المخرج المذكور صرح لبعض الناس أثناء إخراج الفيلم انه سيكسر حاجة اسمها الريحاني استطعنا

في الحال أن نتنبأ بالفيلم والفشل الذي سيعانيه..

وفعلا حضرت أول حفلة لعرض الفيلم وانزويت في مكان حتى لا يراني أحد.. وحدث ما توقعته إذ رأيت نفسي على الشاشة في أبشع صور وفي حركات سقيمة مملة.. وبعد انتهاء الحفلة جاءني المنتج ليعتذر عما بدر منه ثم يندم لأنه لم يأخذ بنصحتي في أول الأمر.. وبعد ذلك وجه المنتج كل همه للانتقام من المخرج فلم يستقر إلا بعد أن طردت الحكومة المخرج من الديار المصرية شر طردة..

ومنذ تلك اللحظة صممت فيما بيني وبين نفسي ألا أعود مرة أخرى إلى السينما مهما كانت الأحوال حتى ولو اضطررت إلى الموت جوعا..

حكم قراقوش

وبعد ذلك قدمنا رواية " حكم قراقوش " فنجحت نجاحا منقطع النظير، فاتبعناها برواية " مين يعاند الست " فلاقت نفس النجاح...

وفي صيف عام ١٩٣٥ رحلت أنا والأستاذ بديع خيري إلى جزيرة قبرص للراحة.. وفي قبرص ألفنا رواية " مندوب فوق العادة " وكنت مزمعا افتتاح موسم سنة ١٩٣٦ بها.. ولكن الظروف ساعدتنا بعد ذلك على تأليف رواية " قسمتي " فافتتحنا بها الموسم وجعلنا رواية " مندوب فوق العادة " احتياطية وكانت هذه أول مرة أجد أمامي فيها رواية احتياطية.

جمهور جديد

وفي عام ١٩٣٦ قدمنا روايات " حكم قرقوش " ثم " مندوب فوق

العادة " وقد أطلقنا عليها بعد ذلك اسم " ٣٠ يوم في السجن " واختتمنا الموسم برواية " الدنيا على كف عفريت " وهنا أقف قليلا لأسجل ملاحظة أثلجت صدري فقد بدأت العلائلات الاستقراطية والطبقات الراقية من وزراء إلى باشوات إلى عظماء يترددون على رواياتي فكنت أشعر بفرح شديد كان له كبير الأثر في توجيه رواياتي توجيها يتناسب مع هذه البيئة الجديدة التي بدأت أمثل لها

وكانت رواية " الدنيا على كف عفريت " هي آخر رواية قدمتها على المسرح إذ أنه ما كاد الستار يسدل عن الفصل الأخير منها، حتى وقعت مريضا.

سلامه في خير

وبينما كنت أرتدي ملابسي ذات مساء للذهاب إلى المسرح اتصل بي الأستاذ بديع خيري تليفونيا و قال إنه يتكلم من استديو مصر وطلب إلي أن أذهب في الحال إلى الاستيو لأن الأستاذ أحمد سالم مديره يريدني في الحال، وقبل أن أسأل الأستاذ بديع عن غرض هذه الدعوة المستعجلة أعطى السماعة للأستاذ أحمد سالم ليقول لي انه ينتظرني لأمر هام.. أكملت ارتداء ملابسي وأسرعت إلى الاستديو لكي أجد الأستاذ أحمد سالم في انتظاري.. وبعد السلام والتحية والسؤال عن الصحة الغالية فاتحني الأستاذ أحمد سالم بأن استديو مصر قد قرر إخراج رواية أتولى أنا بطولتها.. وفي الحال وبدون تفكير رفضت. ورفضت بشدة وعنف.!

فراح الأستاذ أحمد سالم يسبغ جوا خياليا حول الفيلم والنجاح

المنقطع النظير الذي سيلاقيه، فرفضت أيضا.. وفجأة وقف الأستاذ أحمد سالم ليقول لي بلهجة خطابية إن الاشاعات قد انتشرت في البلد حول فشلي في التمثيل السينمائي وأنه كرجل يحبني ويحب فني يأبى على نفسه أن يقف أمام هذه الاشاعات موقف المتفرج فسعى إلى إخراج هذا الفيلم وأعد له كل العدة لكي ينجح فتختفي هذه الاشاعات.

الحقيقة أن الفار لعب في عبي.. فوافقت واتفقنا على أن نبدأ في الفيلم بعد أن ننتهي من رواية (الدنيا على كف عفريت).

السيناريو.. والحوار

مكثنا بضعة أيام نضع السناريو والحوار أنا والأستاذ بديع حتى إذا ما انتهينا منه أسرعنا إلى الأستاذ أحمد سالم لكي نعرضه عليه، فطلب الينا الأستاذ سالم أن نتركه عنده يومين لكي يقرأه.. وبعد اليومين ذهبنا اليه فقال انه مسافر إلى أوروبا لبعض الأعمال الخاصة بالاستوديو، ثم عرض علينا فكرة جديدة للسناريو لنناقشها.. ولأول مرة أعترف لأحد بأن فكرته في غاية العظمة. واجتمعنا أنا وبديع لنضع السناريو حول هذه الفكرة وكذلك الحوار. وبعد الانتهاء من السناريو والحوار أطلقنا على الرواية اسم " أفراح " فقال الأستاذ أحمد سالم انه يرى أن يطلق عليها اسم " سلامة في خير " فوافقنا.. وبدأنا في اخراج الفيلم..

سألت عن المخرج فقيل أنه يدعى " نيازي مصطفى " ولا أكتمكم أنني لم أرتح في أول الأمر لهذا المخرج فوجهت اليه بعض الاتهامات إذ لا يلدغ الممثل من مخرج مرتين، ولكنني اكتشفت بعد ذلك أنه شاب في غاية

الذكاء والنشاط فاعتذرت له عما بدر مني في حقه..

ولم يكد الأستاذ أحمد سالم يعود من أوروبا حتى أوشكنا على الانتهاء من إخراج الفيلم وعرضه، ولست في حاجة لأقف مرة أخرى لأعلن أن الفيلم قد نجح نجاحا كبيرا، وأظن أن القراء يشهدون بذلك. ولأول مرة بدأت ارتاح للسينما والعمل بها وخاصة بعد أن اختفت الاشاعة التي كانت تدور قبل عرض " سلامة في خير " حول فشلي على الشاشة البيضاء.

الفصل السادس

مسرح ريتز

وأقف هنا قليلا لأتحدث عن قصة ريتز وكيف انتقلنا للعمل فيه.. لقد كنا حتى أواخر عام ١٩٣٥ نعمل على مسرح برنتانيا – مكان سينما الكابتول الآن – حسب الاتفاق المبرم بيني وبين الحاج مصطفي حفني صاحب المسرح.

وفي الشهور الأخيرة من عملنا على هذا المسرح صدمنا – كالمعتاد – بضائقة مالية تبعتها حالة ركود في الاقبال على رواياتنا لدرجة أن إيراد الشباك أخذ يهبط شيئا فشيئا حتى وصل إلى سبعة جنيهات.. فتضخمت الديون علينا ولم نستطيع دفع أجر المسرح..

وفي أحد الأيام فوجئت بالحاج مصطفى حفني ينبئي بأنني مدين له بمبلغ وقدره، وأن المائتي جنيه التي سبق أن دفعتها إليه كتأمين أصبحت من حقه.. ولم يكتف بهذا القدر بل راح يؤكد أننا مازلنا مدينين له بمئة جنيه.. وبناء عليه يؤسفه.. ويؤسفه جدا.. أن يوقع الحجز على كل ما نملكه داخل المسرح من ملابس ومناظر واكسسوار.. الخ فحاولت أن أثنيه ولكنه أصر على توقيع الحجز.. وفعلا وقع علينا الحجز وخرجنا إلى عرض الطريق ونحن لا نملك شيئا..

وأقف مرة أخرى لكي أقول إن هذه ليست المرة الأولى التي يوقع فيها الحاج مصطفى حفني علينا حجزا فله سوابق في هذا المضمار كما يعلم القراء من خلال سطور هذه المذكرات..

ما علينا..

أما قصة مسرح ريتز فتتخلص في أنه ملك عائلة بالاسكندرية وكان الأستاذ يوسف بك وهبي قد استأجره ليعمل عليه هو وفرقته ولكنه أصيب بضائقة ماليه فاستأجره الميسو جورج ناعوم.. وكان قد أزمع تحويله إلى دار للسينما، وفعلا اتفق مع أصحاب المسرح على ذلك.. ولكنه عندما علم أننا نهيم في الطرقات عرض علي أن أستأجر منه المسرح فاستأجرناه وبدأنا العمل عليه في نوفمبر عام **١٩٣٥** حيث قدمنا روايات " حكم قراقوش" و " مندوب فوق العادة " و "الدنيا على كف عفريت"

ولقد صادفنا النجاح على هذا المسرح فتحسنت حالتنا المالية فدفعنا ديوننا المتراكمة علينا..

وفجأة أصيب المسيو جورج ناعوم بأزمة مالية فعرض علينا أن نحل محله أمام أسرة عاداه أصحاب المسرح فلم نمانع وعقدنا اتفاقا مع الأسرة على أن نستأجر المسرح لمدة خمس سنوات تتجدد تبقاء نفسها.. وقد تجددت مدة الايجار بعد ذلك ثلاث مرات.

لو كنت حليوه

وفي أكتوبر عام **١٩٣٧** دعيت لتمثيل رواية " لو كنت حليوه " في دار الأوبرا الملكية أمام حضرة صاحب الجلالة الملك.. وكانت هذه هي

أول رواية لي يتفضل جلالة الملك بمشاهدتها.. وكان مقررا أن تبدأ الحفلة في تمام الساعة التاسعة والنصف فأمرت الممثلين بأن يحضروا في الساعة الثامنة لكي نجري بعض البروفات.. وفي الساعة الثامنة حضر الممثلون والممثلات ما عدا السيدة زينات صدقي.. وأخذت عقارب الساعة تسرع في طريقها حتى جاوزت التاسعة والربع ولم تحضر زينات.. فأرسلت من يبحث عنها في منزلها وعند أقاربها وفي الشوارع والطرقات، ولكن البحث أسفر عن فشل في العثور عليها.. فخرجت إلى الطريق أبحث عنها في ميدان الأوبرا والعتبة.. ومكثت كالمجنون فترة طويلة.. فهذه كما سبق أن قلت أول رواية يتفضل جلالة الملك بمشاهداتها.. ومن المؤلم أن الستار سيرفع عن الفصل الأول عن مشهد لزينات صدقي.. فكانت مشكلة أطارت عقلي..

وفي الساعة التاسعة والنصف إلا خمس دقائق شاهدت زينات وهي سائرة تتمخطر في طريقها إلى باب الخلفي للمسرح فجذبتها بعنف، وبأسرع ما يمكن ارتدت ملابسها ولم تكد تتخذ مكانها على خشبة المسرح حتى عزف السلام الملكي ورفع الستار عن الفصل الأول.

وبعد إسدال الستار عن الفصل الأخير وقف جلالة الملك ونظر إلى جمهور المتفرجين، ويبدو أن عددهم كان قليلا.. ثم وجه جلالته النطق السامي التالي وجميع تقاطيع وجهه تنطق بالتأثر العميق :

" أتعشم أن تكونوا قد استفدتم من الرواية العظيمة دي.. "

استنى بختك

وفي عام ١٩٣٨ قدمنا رواية " استنى بختك " بعد أن مكثت أنا والأستاذ بديع خيري نضع حواراها قرابة شهرين كاملين. ولكن هذا المجهود الكبير الذي بذلناه سرعان ما نسيناه عندما قوبلت الرواية بنجاح كبير. والذي يدعو إلى السرور أولا والأسف ثانيا أن الجرائد قابلت هذه الرواية بالإعجاب والتقدير والاطناب.. ثم عادت فقالت بالبنط العريض ان هذه هي أول رواية تنجح لشخصي الضعيف ثم راحت تدافع عن رواياتي السابقة فقالت إنها إذا كانت قد فشلت فإن الخطأ في ذلك لا يرجع إلى العبد لله وانما يرجع إلى المشرفين على إدراة الفرقة والدعاية لها لأنهم قصروا في الاعلان عن هذه الروايات !!

حادث سرقة

كان عندي خاتم رشيق أعتز به اعتزاز كبيرا لسببين أولهما أنه لازمني مدة طويلة فكان يعاني معي وطأة الفقر والعوز كما كان يؤدي لي خدمات جليلة كلما اشتد بي الضنك لأنه متطوع بالانفصال عن أصبعي للذهب إلى خزينة أحد المرابين ثم يعود مرة أخرى إلى أصبعي عندما تتحسن الأحوال ويشم جيبي رائحة الفلوس.. أما السبب الثاني الذي يجعلني أعتز بهذا الخاتم فهو أنه كان مهدى إلي من شخص عزيز... وبالاختصار بحثت عن الخاتم في أصبعي ذات يوم فلم أجده!. فقمنا ببحث دقيق داخل المسرح وخارجه وفي المنزل وخارجه فلم نعثر له على أثر..

فاستدعبت أحد المنومين المغناطيسيين وطلبت إليه أن يكشف لي عن

سارق الخاتم العزيزة وقد حضر عملية التنويم معي الأستاذ بديع خيري والسيدة ميمي شكيب.. ولكن جميع المحاولات ذهبت سدى ولم نهتد إلى السارق الأثيم.. فحاولت محاولة أخيرة بأن أعلنت بين الكواليس أن المنوم المغناطيسي قد اهتدى إلى سارق الخاتم وبناء عليه فإنني أعطي للسارق مهلة يومين لكي يتقدم بالخاتم والاعتذر.. وإلا سأضطرب إلى إبلاغ النيابة إذا لم يحضر خلال اليومين...

ولم يتقدم السارق... وطبعا لم أتقدم للنيابة.. فأسفت لفراق هذا الخاتم الحبيب إلى الأبد!

أبو فراس

ومن الطريف أن رواية " استني بختك " فيها ذكر لشخصية خرافية اسمها " أبو فراس " يقول إن الذي ظل أربعين عاما منحوسا لابد أن يقضي أربعين عاما مثلهما في سعادة.. وحدث أن كانت إحدى بنات الذوات تشاهد هذه الرواية فتخيلت أن " أبا فرأس " هذا لابد أن يكون موجودا وله مقام مثل السيدة زينب وسيدي أبو السعود.. ولم تكذب الآنسة خبرا، فجاءت إلي وهنأتني بنجاح الرواية ثم قالت :

" بس والنبي يا أستاذ فين أبو فراس ده علشن أزوره وأتبرك بيه... "!

النحاس باشا والكادر

وذات مساء حضر إلى المسرح رفعة مصطفى النحاس باشا ومعالي مكرم عبيد باشا لمشاهدة " استني بختك " وكنت أمثل في الرواية دور " كاتب " يطلب عملا في دائرة " الباشا " ولكن زوجة الباشا اشترطت على

شروطا قاسية منها أن أقوم بمغازلتها أمام زوجها حتى يغار عليها فقمت بهذه المهمة على مضض لحاجتي إلى نقود فقلت لها :

– طيب.. لكن بدي أعرف هي الشغلة دي في الكادر ولا لأ ؟

فأعجب النحاس باشا بالسؤال والتفت إلى مكرم باشا وقال ضاحكا :

– سؤال كويس علشان يدخل " الخدمة " عايز يعرف حيكون " مربوط " على أي " درجة " !

سي عمر

وفي فبراير عام ١٣٣٩ دعاني الأستاذ حسني بك نجيب مدير استديو مصر لزيارته لمسائل هامة.. فذهبت إليه ليفاتحني بأن الاستديو بعد أن لمس النجاح الكبير الذي لاقاه فيلم " سلامة في خير " قد قرر إخراج فيلم آخر لي. فلم أر مانعا من إخراج هذا الفيلم وطلبت وأجرا قدره ٢٠٠٠ جنيه.. ولكن حسني بك قال إن ألفين من الجنيهات مبلغ جسيم :جدا فأخبرته أن هذا المبلغ لا يعد جسيما بالنسبة للمجهود الكبير الذي أبذله في وضع سناريو الفيلم وحواره وفي تمثيله، وكذلك لا يعد جسيما إذا قيس بالأرباح التي تعود على الاستديو بعد عرض الفيلم. وبالاختصار لم يوافف حسني بك على إعطائي ألفي جنيه فاستأذنت وعدت أدراجي إلى المسرح.!

وفي هذه الأثناء كان استديو مصر قد استدعى خبيرا فرنسيا في السينما لدراسة حالته وتقديم تقرير عنه. وتصادف أن زار هذ الخبير مسرح

رينز حيث شاهد رواية " استنى بختك " فلما انتهى التمثيل صعد إلى وهنأني بحرارة.

وبعد يومين من هذا الحدث تحرك استديو مصر فجأة في سبيل الاتفاق معي على إخراج الفيلم الجديد وإعطائي ألفي جنيه بلا قيد ولا شرط، فبدأنا أنا والأستاذ بديع نضع سيناريو الفيلم وحواره .

خلاف.. وتوقف

ثم بدأ الأستاذ نيازي مصطفى في إخراج الفيلم وبعد أسبوعين من بدء الاخراج وقع خلاف بيني وبين الاستاذ نيازي حول بعض المسائل، فكان الأستاذ نيازي يرى أن تقوم خناقة كبيرة على نمط خناقات هوليود ولكنني لم أر مبررا لهذه الخناقة وتضييع الوقت.. كما وقع خلاف آخر حول قيامي بتمثيل شخصين إحداهما كاذبة والأخرى حقيقة فقلت للأستاذ نيازي إن هذا سيحدث ارتباكا عند الجمهور ولكنه ولم يقبل وجهة نظري وأصر على قيامي بالشخصيتين.. ثم هناك نقطة ثالثة زادت الخلاف أو الطين بلة، وكانت تدور حول اختيار بعض الممثلين..

وبالاختصار تفاقم الخلاف لدرجة لم نستطيع بعدها الاستمرار في العمل فظل معطلا ما يقرب من شهر ونصف، ثم تشكلت لجنة برئاسة فؤاد بك سلطان وعضوية عبد المقصود بك أحمد وبعض عظماء بنك مصر وستوديو مصر لإزالة أسباب التعطل وبالتالي أسباب الخلاف، وقد أقرت اللجنة وجهة نظري فوافقت على طلباتي.. ثم عدنا إلى استئناف العمل في الفيلم.

زيارة ملكية أخرى

وفي أواخر مارس سنة ١٩٣٩ دعاني النادي الأهلي لأقدم رواية " استنى بختك " مساء الأحد ٢ ابريل في حفلته السنوية أمام حضرة صاحب الجلالة الملك وحضرة صاحبه الجلالة الملكة.. وما وكاد يسدل عن الفصل الأول حتى استدعاني جلالة الملك لمقابلته فأسرعت لارتداء ملابس، ولكن مندوب جلالته قال إنه ليس هناك متسع للوقت وأنه على أن أقابل جلالته بملابس " الشغل " فأسرعت إلى المقصورة الملكية.

وكان جلالته قد لاحظ خلو بعض الألواج والبناوير فلما فلما سأل عن سبب ذلك أجابة حسنين باشا بأن جميع الألواج والبناوير مباعة فقال جلالته :

– أنا متأكد أن اللي ماجوش الليلة راح يتأسفوا لما يسمعوا من الحاضرين عن الرواية.

ثم تبسط جلالته في الحديث فقال لي :

– أنا باسعتجب أنتم صوتكم ده ماينديحش مع المجهود الطوالي ؟

فأجبت :

– يا مولاي أنا بقى لي ٢٥ سنة بالشكل ده!

فابتسم جلالته وقال :

– يعني بقى لك سنة بتجعر ؟

ثم جاء دور صديقي الأستاذ بديع خيري، فقدمه سعادة حسنين باشا

قائلا : ده يامولاي اللي عمل أغاني الزفاف.

فابتسم جلالته لبديع ووجه اليه بعض وعبارات التشجيع.

زفته

وعلى ذكر عطف جلالته على فرقتنا أذكر أنني قدمت أمام جلالته رواية (لو كنت حليوه) والرواية تضم مشهدا أقوم فيه بتوزيع هبات على الممثلين تتراوح وبين الألف جنية والثلاثة آلاف، وكنت كلما أعطيت ممثلا ورقة تضم الهبة أقول له :

– خد يا سيدي وآدي كمان زفته.

وبعد انتهاء الرواية تفضل جلالة الملك فاستدعاني وقال لي :

– ايه ده ياسي نجيب.. ما تحدفنا بشوية زفت من الزفت بتاعك اللي عمال توزعه على الممثلين!

الدلوعة

وفي ٨ ابريل عام ١٩٣٩ قدمنا رواية (لازم أتجوزك) وقد أطلقنا عليها بعد ذلك اسم (الدلوعة) فنجحت نجاحا منقطع النظير دفعني إلى إعادة تمثيلها عشرات المرات! وقد أطلق عليها رجال الصحافة اسم (الرواية الخالدة) ولا أظنهم كانوا مبالغين في هذه التسمية.!

رحلة إلى فلسطين

وفي صيف عام ١٩٤٣ دعانا بعض المتعهدين بفلسطين لإقامة عدة حفلات هناك، فانتقلنا إلى "حيفا" حيث أقمنا ليالي في تياترو الحمراء،

ولست في وحاجة لأن أقول إن تياتروا الحمراء هذا يعد من أفخم مسارح الشرق من ناحية الموقع والأثاث والنظام.. ولقد لاقت جميع الحفلات التي أقمناها بتياترو الحمراء نجاحا كبيرا لدرجة أن الصالة كانت في جميع الليالي ممثلة بجمهور المتفرجين بين واقفين وجالسين.. وقد بلغت شدة الزحام درجة كبيرة لم أستطع إزاءها أن أؤدي واجبي على الوجه الأكمل لأنني والحمد لله من الناس الذي يتضايقون من الزحام حتى ولو كان مجلبة للأرباح الطائلة.. ولعل الفضل الأكبر في شدة هذا الزحام يرجع إلى الطريقة المثلى التي كان يتبعها الأستاذ طلعت حسن في الدعاية عن الفرقة وفي توزيع التذاكر، فقد أوتي هذا الأستاذ طلعت قدرة فائقة في (رص) المتفرجين سواء واقفين أو جالسين رصا محكما بحيث لا يستطيع الهواء أن ينفذ من بينهم...

ما علينا..

ثم انتقلنا إلى يافا حيث أقمنا ليال نجحت بدورها، وبعد ذلك انتقلنا إلى القدس حيث أقمنا خمس ليال أخرى. وفي القدس دعانا أحد المتعهدين باسم جلالة الملك عبدالله لزيارة شرق الأردن ولإقامة حفلتين هناك، فانتقلنا إلى عمان حيث أقمنا حفلتين على مسرح سينما البتراء مساء ٤ – ٥ بوليه.

والحقيقة أنني شعرت بشئ من الرهبة عندما علمت أن جلالة الملك عبدالله سيشرف الحفلة الثانية، ولعل هذه الرهبة هي التي دفعتني إلى التفكير طويلا في انتقاء الرواية التي سأمثلها أمام جلالته لأنه لم أكن أعلم

أي أنواع الروايات يفضل .

وبعد التفكير الطويل وتبادل الآراء بيني وبين الاستاذ بديع خيري رأينا أن تقدم رواية " الدلوعة " لأسباب كثيرة أولها أن هذه الرواية من مستوى رفيع.ثانيها أنها تتضمن انتقادا خفيفا للأداة الحكومية والروتين الحكومي العقيم ؟

رفع الستار عن الفصل الأول وأسدل ولا أذكر أن جلالة الملك عبدالله قد ابتسم مرة واحدة أو صفق كما كان يفعل كبار المدعوين وصغارهم. فشعرت بخيبة أمل، ولكن الاستاذ بديع والممثلين طمأنوني بقولهم إن الفصل الثاني والثالث أقوى بكثير من الفصل الاول ولاشك أنهما سينتزعان إعجاب جلالة الملك.

قدمنا الفصل الثاني ولكنه لم يكن أسعد حالا من زميله الفصل الاول لأن جلالة الملك عبدالله لم يقدم أية حركة أو إشارة تدل على إعجابه بنا، ولكن الفصل الثالث كان مختلف كثيرا عن الفصلين الأول والثاني...

نعم وكان الاختلاف واضحا، لأن وجه جلالة الملك عبدالله قد تأثر جدا.. وعلته علامات لا أقول الاعجاب.. ولكن علامات الاستياء والحزن والرثاء لأشخاصنا الضعفاء.

ولم يكد الستار يدل عن الفصل الثالث، ونصل إلى نتيجة التي وصلنا إليها من إغضاب جلالة الملك عبدالله، حتى أيقنت في الحال أن العمر مش بعزقه... وبناء عليه ارتديت ملابسي على عجل لكي أغادر عمان في الحال.. ولكنني لم أكد أنتهي من ارتداء " الجاكتة " حتى أحسست بيد

تربت على كتفي، فالتفت إلى الوراء لأجد مندوب جلالة الملك عبدالله يدعوني لمقابلة جلالته... عال.. جالك الموت يا تارك الصلا..!!

وبحياء وخجل تقدمت إلى جلالة الملك بخطوات مرتبكة ثم انحنيت أمامه وأنا ألقي التحية.. ولم أكد أرفع رأسي حتى دعاني جلالته للجلوس ليدور بينا الحديث التالي :

– إيه التمثيل يا أستاذ نجيب!؟

– ماله.. يا جلالة الملك ؟!

– ضعيف جدا. ثم أضعف إلى ذلك. كيف تتجرأون وتنقدون موظفي الحكومة عندكم ؟

– إنني أعتقد يا جلالة الملك أن النقد هو من أقوى وسائل الاصلاح. فنحن نتلمس الأخطاء ثم ننقدها في أسلوب خفيف لا يتأثر أحد، حتى الذين ننقدهم!

– هذا غير صحيح يا أستاذ نجيب. إن التمثيل لم يخلق لإنتقاد الحكومة والوزراء والحكام. وإنما خلق لتمجيدهم والاشادة بفضلهم ورفعهم إلى أعلى مراتب الاجلال والاحترام.

ثم راح جلالة الملك عبد الله يلقي على محاضرة طويلة عن التمثيل ورسالته وما يجب علينا أن نعمله حتى نؤدي هذه الرسالة على الوجه الأكمل.. وقد استغرقت هذه المحاضرة ما يقرب من نصف ساعة لم نكد لتنتهي حتى وعدت جلالته بأنني سأعمل بكل ما جاء فيها نصا وروحا، ثم

استأذنت في الانصراف وأسرعت إلى الفندق لكي أنبه على جميع الممثلين والممثلات أننا سنرحل إلى مصر في الصباح الباكر !

وبعد أن ألقيت الأوامر لإعداد العدة للسفر جلست لأستريح قليلا... ثم فوجئت بمندوب جلالة الملك عبدالله مرة أخرى يدعو جميع أفراد الفرقة بأمر جلالته لتناول الغداء على ظهر المائدة الكريمة ظهر الغد!

أقول الحق إنني قد احترت وفكرت طويلا.. إن جلالة الملك عبد الله غير راض عنا ولا عن تمثيلنا ويدل على ذلك هذه المحاضرة الطويلة التي ألقاها على جلالته، إذن فما هو الداعي لهذه الدعوة لتناول الغداء وما الداعي لكل هذا الترحيب!! ولما كان لابد من تلبيبه هذه الدعوة فقد قررنا تأجيل السفر لبعد الظهر.

وقبل الظهر بدقائق انتقلنا إلى قصر جلالة الملك عبدالله ليقابلنا أعوانه بكل ترحيب واحترام، وبعد انتهاء الغداء اكتشفت من المظاهر التي كانت تخيم علي أنني لم أكن مقصودا بهذه الدعوة بالذات ولا الفرقة بأكملها، إنما كان المقصود بها بعض أعضاء الفرقة والذي أستطيع ذكره أن الغداء ما كاد ينتهي حتى أسرعنا إلى حقائبنا.. ثم إلى مصر.!!

السنوات الخضر!

عدنا إلى القاهرة، لنستأنف العمل على مسرح ريتز من جديد، وكانت الحال قد بلغت من الانتعاش حدا أرهقنا.. وقد يكون عجيبا أن يرهقنا الانتعاش ولكنها الحقيقة... فقد كنا نواجه جمهورا يربو عدده على عدد مقاعد مسرح ريتز مرتين في كل مساء، وكان هذا رغم أنه يسعدنا،

كان يورثنا المتاعب، إذ كان بعضهم يحاول أن يجد له مكانا في المسرح، فإذا عجز جاءني شخصيا يرجوني أن أجد له هذا المكان!

ومضينا نعمل بروح وثابة... أخرجنا رؤاية " سلاح اليوم " وكان هدفي أنا والأستاذ بديع خيري وضعناها أن نجعلها ملائمة لروح العصر، الذي اكتملت فيه العقول ونمي الوعي

وكانت هذه الرواية من أنجح رواياتنا في العهد الحديث، إذ قامت على نقد أعضاء مجااس الشركات نقدت مرا في أسلوب ناعم، ثم أخرجنا رواية " الدنيا ماشية كده "، ورواية " الستات ما يعرفوش يكدبوا " ورواية" إلا خمسة. ".

وهكذا نشط دينامو العمل مقابل ما لقيا من الاقبال المشجع من الجماهير، وكانت هذه السنوات الأخيرة منذ سنة ١٩٣٩ أكثر سنوات عمر فرقتنا رواجا وانتعاشا

احتجاجات

وبمناسبة الحديث عن هذه الروايات، يجدر بي أن أذكر ما عاصرها من العقبات، والعثرات، فعندما أخرجنا رواية "حسن ومرقص وكوهين " توالت عليه الاحتجاجات فما هي دوافع وأسباب هذه الاحتجاجات ؟

كنا قد أسمينا الرواية " مُحَمَّد ومرقص وكوهين " فلم يعجب هذا فضيلة شيخ الأزهر وأرسل خطايا وزارة الداخلية يطالب فيه بضرورة تغيير اسم (مُحَمَّد) أو حذف الرواية.

ونزولا على رغبة فضيلته أبدلنا اسم مُحَمَّد باسم حسن، ولكنه عاد مرة أخرى إلى الاجتماع بأن اسم حسن من الأسماء الشريفة إذ هو اسم أخ الحسين ﷺ.. وتولتنا الحيرة. كيف نجد اسما لمسلم غير الاسماء التي يمكن أن يحتج عليها فضيلة شيخ الأزهر!

وما زلنا حيرتا توالت علينا الاحتجاجات فقد احتجت الكنيسة الارثوذكية بأن اسم مرقص من الأسماء التي يجب أن يوفر لها منتهى الاحترام، لأنه اسم صاحب الكنيسة المرقصية الارثوذكية.

كما احتج عليها أكثر من عشرين شخصا من المنصورة من اليهود... وقالوا إن اسم كوهين يجب أن يرتفع عن هذه (السفاسف) – يعني رواياتنا – لأن معناه بالعبرية " الكاهن الاكبر. "

واجتمعنا أنا وبديع في حيرتنا، ونظرت إليه، ونظر إلي. ثم صممنا على أن لا نغير الأسماء. وليكن ما يكون.

وانتهت القصة عند ها الحد.

شنتوفلي

ومادامت قد ذكرت هذه الاحتجاجات، فلا ذكر أيضا ذلك الاحتجاج الطريق.. أخرجنا رواية " الدنيا لما نضحك " وفيها شخصية سورية يقوم بتمثيلها الزميل بشارة واكيم اسمها شنتوقلي.

ومع أننا أجهدنا نفسينا أنا وبديع في البحث عن اسم لا يكون صاحبه من الأحياء وانتهى بحثنا إلى هذا الاسم.. مع هذا فقد ظهر لنا

شنتوفلي من الأحياء، وأصر في خطاب وجهة الينا على استبدال هذا الاسم وإلا.

وكانت (إلا) هذه معناها (قضية).. والحق أنني كنت أتحرق شوقا لأن أقف في المحكمة في قضية من هذا النوع لكي أبدي فيها دفاعي، وأحصل بهذا على مبدأ عام يصبح مذكورا في تاريخي الفقير.. ولذلك لم ألق بالا لاحتجاج الشنتوفلي!

وجلست أنتظر دعوتي للمحكمة أنا وبديع..

وطال انتظارنا عبثا!

أبو طاقية!

وفي رواية " استنى بختك "ذكر لشخصية رجل غني اسمه (اسماعيل بك أبو طاقية) وكان المفهوم عندي وعند بديع أن ليس هناك واحد اسه أبو طاقيه، ولكن بعد ظهور الرواية. ظهر أن (أبو طاقية) اسم لعائلة موجودة فعلا

وانبرى لنا من يطلب الينا تغيير الاسم وإلا.. وعدنا ننتظر تنفيذ (إلا) وقيادتنا إلى المحكمة، ولكن أبو طاقية لم ينلنا هذا الشرف!

" إلا خمسة "

وفي رواية " إلا خمسة "، وضعنا شخصية لمحام يعتقد في الروحانيات، يوهمه بعض المحتالين بوجود كنز في منزل بسوق السلاح تملكه امرأة عجوز، فيتوجه إلى منزل هذه المرأة ليطلب وظيفة كاتب بسيط، ثم يتودد إلى المرأة

طمعا في معرفة مخبأ الكنز الخ. وكان الاحتجاج على هذه الشخصية من أغرب وأشهر الاحتجاجات التي لاقيناها. فقد أسرع أحد المحامين بانذاري على يد محضر برفع قضية على إذا لم أسارع إلى تغيير هذه الشخصية.

وقلت عال يا واد، جالك المراد من رب العباد، هذه هي الفرصة التي تستطيع فيها أن تدافع عن المسرح في حرم القضاء... وضد من ؟.. ضد محام يعمل على تدعيم العدالة ؟

ولكن ما كل ما يتمناه الممثل يدركه. فقد قام في نقابة المحامين من يدافع عني ضد المحامي إياه، وكان من بين المدافعين عني الاستاذ الكبير توفيق دوس باشا ووهيب بك دوس.

وتطوع عبدالحميد بك عبدالحق أيضا في القيام بدور حمامة السلام بيني وبين المحامي المحتج، فأتى به عندي ليزيل سوء التفاهم بيننا.

ويومها اشتد الجدل بيننا إذ كنت ثائرا، وقلت له ما معناه أن احتجاجه وحده دون المحامين جميعا على شخصية ذلك المحامي التي نمثلها لا يعني إلا أنه وجد فيها صورة نفسه.

وانتهت المناقشة بيننا بالصلح.

وللمرة الرابعة لم استطع دخول حرم القضاء!

والصحفيون أيضا

ولم تسلم رواية (الدنيا ماشية كده) من الاحتجاج.

كان دوري في الرواية مدرس غلبان، يعتقد أن الاستقامة والمثل العليا

هي الطريق الوحيد للغنى والشهرة، ثم انقلب بفضل بعض اخوان السوء إلى شخص آخر لا يعتقد في الاستقامة ولا يحزنون، وأصل من هذا إلى الغنى والعظمة

وكان هناك دور لصحفي يزورني ثم يخرج من جيبه الأيمن مقالة مطولة قائلا لي إن كاتبا كبيرا يهاجمني فيها ثم يساومني على أنه يستطيع أن ينشرها أو لا ينشرها، فلما لوح له بالمغريات يخرج لي من جيبه الأيسر مقالة أخرى كلها مديح وثناء في شخصي..

ولم تعجب هذه الشخصية نقابة الصحفيين بالطبع فأرسلوا إلي احتجاجا شديد اللهجة، تطالبني فيه بالكف عن تمثيل هذه الشخصية..

وأعددنا ردنا على هذا الاحتجاج وأرسلناه إلى نقابة الصحفيين، وقلنا فيه أن مما لا شك فيه أن لصاحبة الجلالة قدرها السامي عند كل الناس ونحن على الخصوص لما لنا بها من صلات الأخوة والجوار.. ولكن هذا لا يمنع من أن هناك بعض الناس الذين اندسوا بين صفوف ممثلي صاحبة الجلالة الصحافة وهم أبعد ما يكونون عن صفات الصحفي النزيه.. ثم أنهم في أوروبا مسموح لهم بنقد رئيس الجمهورية... لا الصحفيين فقط!

ولأول مرة أشعر بالأسف على أنني قدمت مثل هذه الشخصية، لأن نقابة الصحفيين اقتنعت بما قلناه في ردنا.. وكان موقفها في ذلك موقفا كريما يدل على فهم وتعقل!

على عيني (وراسي)

وإذا ذكرت الاحتجاجات، فإنني لا أنسى ذلك الاحتجاج الطريف

الذي أرسلته إلينا نقابة الحلاقين!

ففي رواية " ياما كان في نفسي " شخصية لحلاق يدخل في الفصل الأول ليحلق إلصاحب البيت.. ولكنهم يطردونه حين يكتشفون أن يديه مليئة بالدمامل..

وكان إن احتجت نقابة الحلاقين.. وللمرة الأولى أيضا أنسى رغبتي في الوقوف أمام القضاء في قضية تتعلق بالمسرح.. وأحمل احتجاج نقابة الاحلاقين على عيني و (رأسي)

وقد رددنا على هذا الاحتجاج ردا مؤدبا، قلنا فيه إن الحلاقين هم فئة تزاملنا في صناعة الفنون الجميلة، فهم يزينون أشكال الناس. ونحن الممثلين نزين حياتهم وإننا نحترم هذه الطبقة التي يسمونها (باردة) ونعتبر أن هذا البرود فضيلة

وقلنا في نهاية ردنا ما معناه أن لا حساب بين الزملاء <

وانتهى الأمر عند هذا الحد

مع الداخلية وجهت لوجه!

وأحب – بالمناسبة – أن أذكر حادثا طريفا وقع لي المرحوم الاستاذ يوسف بك الجندي أيام أن كان وكيلا برلمانيا لوزارة الداخلية في عهد وزارة الوفد..كنا نمثل وقتها رواية " الدنيا على كف عفريت ".. وفي الفصل الثالث تقودني قدماي – أنا كشكش بيه عمدة كفر البلاص – إلى بيت من بيوت الدعارة – ليبحث فيه عن زوجة ابنة الصرماتي الذي مات وترك

لها ٤٠ ألف جنيه وهو دور ميمي شكيب. ويظهر أن هذا الفصل لم يعجب أحد المتفرجين الحنابلة فأرسل شكوى إلى الداخلية.

وأرسلت إلينا الداخلية تطلب منع الرواية، ولكننا تمكنا من مواصلة عرضها وعادت الداخلية تقول إنه إذا كان هناك مانع من تعطيل الرواية كلها، فلا أقل من منع عرض الفصل الثالث السالف الذكر..وشمرنا عن أقدام العافية أنا وبديع، ثم توجها إلى وزارة الداخلية..

ودخلنا على يوسف بك الجندي، وكنت في حالة لا تسمح لي بالتفاهم على منع أي جزء من الرواية.. وكلمة من هنا وكلمة من هناك – يعني كلمة مني وكلمة من يوسف الجندي، تكهرب الجو، وقال كل ما رأيه الصريح في الآخر...

وفي ثورة قال لي :

– أنا لازم أحيلكم على النيابة

وفي ثورة أعنف من ثورته قلت له :

– ماتقدرش.. ولا أنت ولا أجعص منك يودينا النيابة.. هو احنا بنسرق!!

– وكانت كلمة (بنسرق) هذه لها مدلولها في ذلك الوقت الذي كانت الاتهامات تكال فيه لموظفي حكومة الوفد! ورايت يوسف الجندي يزداد غضبا ثم يقول :

– أنتم ناس ماعندكوش حيا... أنتم بتلوثوا الأخلاق.. أنتم الخ

وازددت أنا أيضا حدة وأجبته :

– أظن أن وفدي مثلك مايصحش يقول إننا بنلوث الأخلاق

وكان الدكتور فريد رفاعي بك يشغل وظيفة مدير المطبوعات في ذلك العهد، فلما جاء الينا وأمكنه أن يهدئ الحال، خصوصا بعد أن رأى يوسف بك الجندي أنني مستعد لعرض الأمر على القضاء.

وانتهت الزوبعة في فنجان وزارة الداخلية!

عودة...

أعود إلى سياق الحديث فأقول إن هذه السنوات الأخيرة منذ سنة ١٩٣٩ التي ذقنا فيها حلاوة المجد والثروة كانت قد فعلت فعلها في صحتي، وبعد أن كنت أحيي موسما شتويا في مصر، وموسما صيفيا في أحد المصايف. وبعد أن كنت أعمل أحيانا في حفلتين أو ثلاثة في اليوم، رأيت أن من الأفضل أن أقصر مواسمي على القاهرة وبعض الحفلات في بعض المصايف، وأن أمتنع نهائيا عن تمثيل أكثر من حفلة واحدة في اليوم الواحد.. وكانت السينما قد ازدهرت في هذه السنوات – سنوات الحرب – فرأيت أن لا مانع من قبول ما يعرض علة من اتفاقات للعمل في الأفلام في الحدود التي لا تضر بصحتي.

لعبة الست وأحمر شفايف

ورأى استوديو مصر أن ينتج فيلما أتولى بطولته مع تحية كاريوكا، وترك لي اختيار إحدى رواياتي التي تصلح للسينما

واخترنا رواية " حكاية كل يوم ".. ولا شك أن الجمهور يعرف كيف نجح هذا الفيلم مما أغراني على الدخول في مضمار الانتاج السينمائي.

وأنتجت فيلم شفايف، ويبدو أنه يجب على كل من يوجه نشاطه لانتاج الافلام أن يكون ماكرا وحويطا أكثر من اللازم. فقد شربت في هذا الفيلم أكثر من مقلب ولعنت الخاطر الذي جعلني أقدم على الإنتاج أكثر من مرة

ومن يومها فقدت ثقتي في الانتاج والاقلام!

أبو حلموس

وجاءت شركة نحاس فعرضت علي القيام بتمثيل فيلم عن رواية " لو كنت حليوه " ، فاشترطت علاوة على الأجرالذي أتفاضاه أن يكون لي نسبة مئوية في الأرباح او الخسائر وقبلت شركة نحاس هذا الشرط. وليتني تركت الفشخرة وأخذت نصيبي (حتة واحدة) ولا تطالبوني يا حضرات القراء بأن أقول في هذا الصدد أكثر من هذا.

برك الجمل

وكان موسم ١٩٤٦ أحفل مواسمي المسرحية بالعمل والنشاط، فما انتهيت منه حتى شعر بأنني في حاجة إلى الاعتناء بصحتي، وذهبت إلى أطباء كثيرين منهم الدكتور مُحَمَّد قناوي، والدكتور عراطه والعجيب أنهم أتفقوا على رأي واحد هو أنني في أمس الحاجة إلى الراحة من عناء العمل.

وكان هذا الرأي عبارة عن صور (فلو) للحقيقة التي قالوها لي في

صراحة حينما قلت لهم إنني أستطيع أن أرتاح في موسم الصيف ثم أعود إلى العمل في موسم الشتاء فقد أخبروني بأنني أواجه الموت إذا اعتليت خشبة المسرح وأن الحيطة في الابتعاد عن التمثيل فترة ما ، وامتثلت لأمر الأطباء فلم اعتل خشبة المسرح في موسم ١٩٤٧

كنت (قرفانا)

"الصحة هي كل شيء "...هذه هي الحكمة التي يجب أن تكون لكل من يريد أن يعيش، ومن يريد أن يجعل دنياه كالجنة التي وعد بها الله عباده المتقين .

جربت الفقر مع الصحة، ثم جربت المرض مع (النغنغة) وخرجت من هذه التجارب بأن الدنيا كلها (طظ) في صحة نستطيع أن نهضم الفول المدمس، وأن المال كله خرافة أمام معدة لا تستطيع أن تهضم الديوك الرومي!

وكات حياتي على إثر موسم سنة ١٩٤٦ من النوع الأخير!

وتملكني روح النقمة على الحياة وعلى الناس..كنت أعتقد أن صحتي ذهبت ضحية على مذبح إرضاء هؤلاء الناس، وأن أوقات سعادتي كانت رهن مشيئتهم... يأخذونها أو يتركونها لي.. وكانوا دائما يأخذونها

وتولاني (قرف) شديد!

وكان هذا السؤال يتردد في خاطري.. " هل حتم علي أن أقضي ما بقى من عمري على خشبة المسرح، في بلد أبناؤه مجهولون مظلومون ؟! "

وقلت لنفسي "يا واد سيبك... " وبناء عليه اعتزمت أن لا أعمل إلا وفق مزاجي وحده.. ما دام أن مصر لا تقدر بنيها إلا وفق مزاجها وحده!

ولكن!

واسترحت إلى هذا العزم قليلا، ثم عدت أقرض أسناني كمدا، فقد كان المسرح هو الحياة بالنسبة لي، فكيف اعيش بلا حياة ؟! ثم إن أغلب أفراد فرقتي كانوا يعتمدون على موسم العمل، فاذا ما توقفت أصبحت أرزاقهم مهددة.. أضف إلى هذا أنني أمضيت عام ١٩٤٧ كالغريب، وكنت أشعر أنني رجل أحيل على المعاش، ولم يعد له إلا أن ينتظر مصيره المحتوم في صبر وانكماش..كنت أقضي النهار جالسا على مقهى فينكس. وأبحث عن شي أقتل به وقتي فلا أجد غير منزلي أسعى إليه. ثم أعود إلى القهوة لأقطع الوقت الثقيل الطويل.

باختصار كنت أحيا في هذه الفترة حياة أشبه بورقة مهملة تتقاذفها الريح تارة على رصيف وتارة على رصيف أخر

وعدت أعتبر نفسي سعيدا بشقائي على المسرح.. عدت أعترف بفضل الحياة وفضل الناس وفضل المتاعب علي

وذهبت إلى الطبيب وقلت له :

– إيه رأيك. أنا زهقت

– ضروري ترتاح

– إنت بتقول إني لو اشتغلت يمكن أموت ؟

– أيوه

– وهوه أنا يعني مش حاموت ؟

– كلنا حانموت

– إذن خليني أموت وأنا بأمثل أحسن.. أقله أموت وأنت مبسوط!

وبناء عليه جمعت أفراد الفرقة لنحيي موسم ١٩٤٨

بالمناسبة!

وبهذه المناسبة. لما علم بديع باعتزامي العودة إلى العمل، أراد أن يمنعي حفظا لصحتي، فقلت له :

– اسمع يا بديع يا خويا. أنت عاشرتني طول العمر وتعرف إيه اللي مر بنا. كنت زمان باعمل كشكش. والناس تقول علي مهرج. ما أتمتعتش باعجاب الناس وتقديرهم في الوقت بتاع زمان ده. إنما دلوقت الوعي اكتمل عند الناس، وبدأوا يبصوا لنا باحترم. فخلينا نتمتع شوية.

اجتمعنا وأقمنا موسم ١٩٤٨ بمسرح ريتز، ولكننا لم نقدم رواية جديدة، فكان هذا مثار غضب بعض أفراد الفرقة الذين كانوا يريدون الحصول على إعانة الحكومة

وكنا على استعداد لتقديم رواية " أحب حماتي " في ذلك الموسم، بيد أن بعض ظروف خاصة جعلتني أعدل عن تقديمها في اللحظة الأخيرة، وأن أؤجلها إلى الموسم الحالي (موسم ١٩٤٩)

ولكن ظروف المرض وقفت حائلا بيني وبين ما أردت مرة أخرى.

غزل البنات

وفي صيف العام الماضي ١٩٤٨ كان الإضمحلال قد بدأ يظهر على صحتي، ومع ذلك لم أعد أفكر في الإمتناع عن التمثيل كما قلت، ولكنني آثرت أن أمتنع عن العمل في السينما، اختيار لاهون الشرين إلا إذا كان مجرد فيلم واحد في العالم بحيث لا يؤثر العمل به تأثيرا مباشرا على صحتي.

ولذلك رفضت العمل في بضعة أفلام، رفضت وأنا آسف لرفضي، واشترطت في البعض الآخر من الأفلام أن أتناول أجورا عالية، فلا مانع من أن أعوض بأجري في فيلم واحد ما أتناوله في ثلاثة أفلام مثلا، وكان أن قبلت العمل في فيلم " غزل البنات.

راحة إجبارية

وأحسست بعد الانتهاء من فيلم "غزل البنات" أن المكابرة لم تعد تنفع وأنه لابد لي من الاستجمام إذا أردت أن أعيش

ولما كان العبد لله يحب الحياة (موت) فقد آثرت أن أستجم وأن أمتنع عن التمثيل إلى أن تتحسن صحتي.

وزير الشئون

في فندق مينا هاوس كنت أمضي بعض أيام الاستجمام وهناك قابلني معالي وزير الشئون جلال فهيم باشا ودار حديث حول عزمي على الامتناع عن العمل واستطاع أن يقنعني بأن البلد في حاجة إلى مسرحي

الفكاهي وأنه (عيب وميصحش) الخ

وقبلت أن أعود على شرط أن يسجل رأيه هذا في خطاب رسمي.. وفي اليوم التالي وصلني الخطاب

ورددت عليه بعبارة شكر..

وبعد أيام كنت أعمل مع فرقتي على مسرحي وأمام جمهوري الذي أحبه وأعتز به والذي يحبني ويعتز بي

ملحق صور



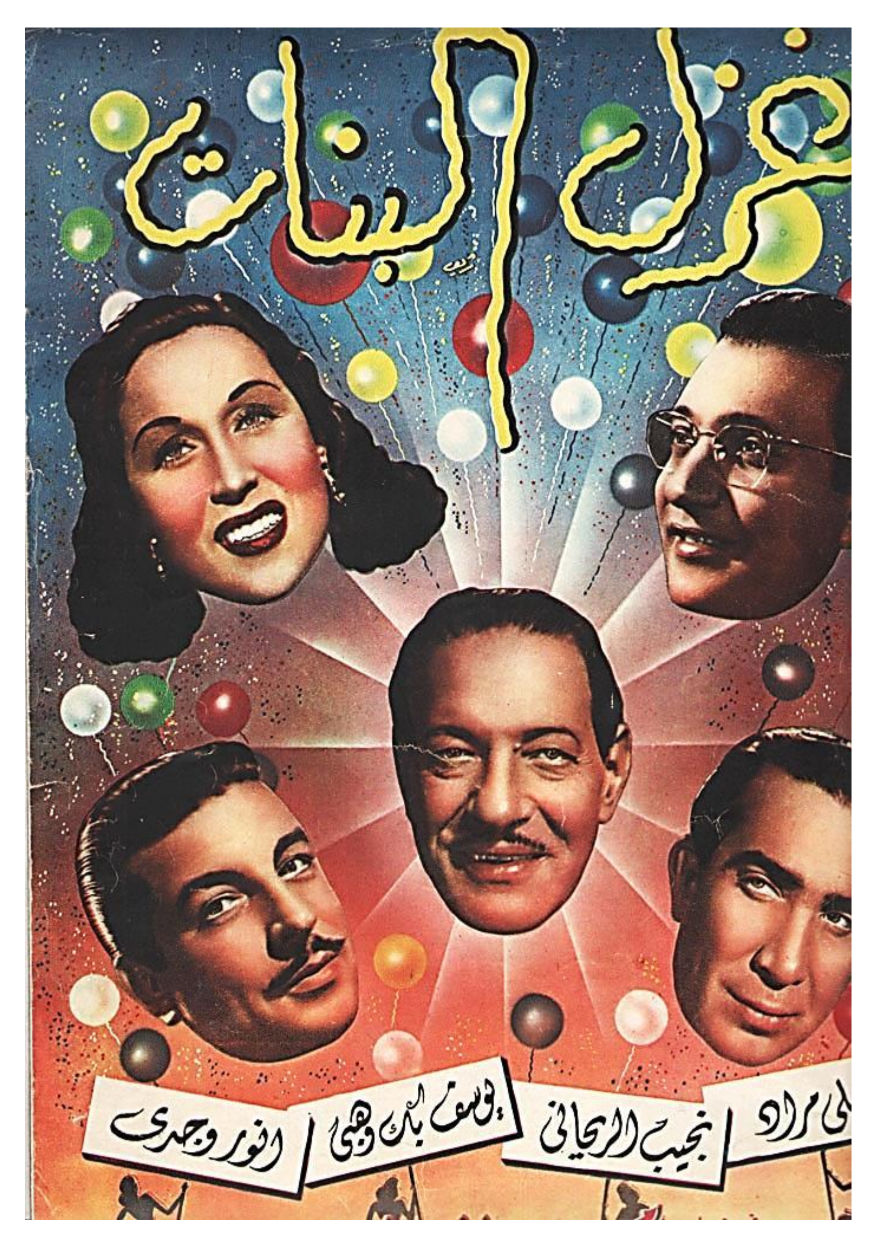
اخر–افلامة



الحزين



اعلان عن رواية الشرك



افيش–فيلم–غزل–البنات



الريحاني وبديع خيري خلف الكواليس



الريحاني كما تصووره أحد الرسامين



الريحاني وبديع خيري



الريحاني



الريحاني –في –السينما



بخط-يد-الريحاني



بديعة مصابني



بريشة رسام



نجيب-وبديعة زوجته-الاولي



جينا هي الإبنة الوحيدة لنجيب الريحانى من زوجته لوسي



زوجته الفرنسية



سلامة في خير



سلامة–في–خير



سلامة–في–خير–من–اخر–افلامه



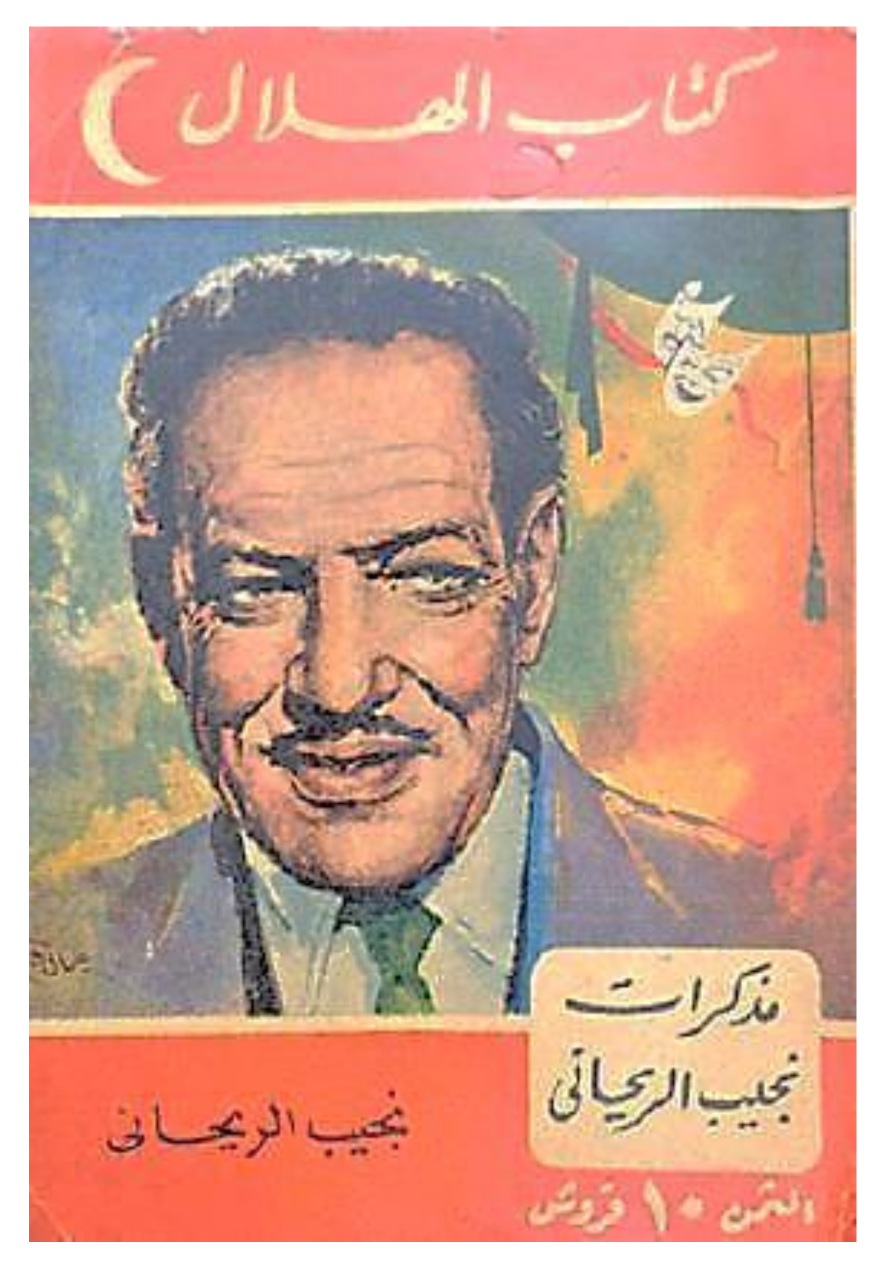
طابع_نجيب_الريحاني



عملاق الكوميديا العربية



غزل_البنات



غلاف مذكرات نجيب الريحاني من اصدارات دار الهلال



في قهوة سفنكس مع رفيقه بديع خيري



في-السينما



في-صالون-الحلاقة



-قدم-مع-ليلي-مراد-اخر-افلامه-غزل-البنات



كامليا وتحية كاريوكا يبكيان على الريحاني



لحظة انصات الريحاني وليلى مرتد



لحظة دموع مع ليلى مراد



مشهد من فيلم لعبة الست



مشهد



مشهد-من-اخر-للفيلم-للريحاني



مشهد-من--سلامة-في-خير



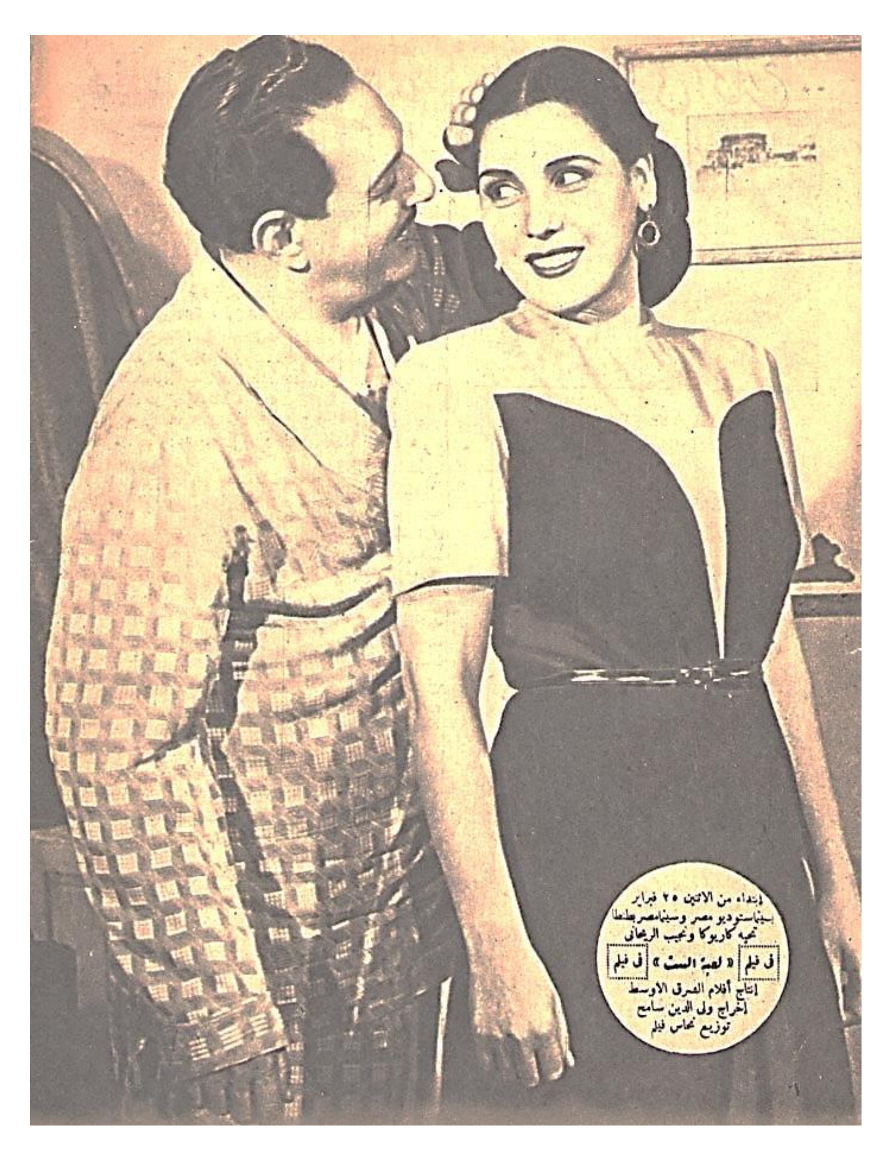
مشهد–من–فيلم



مشهد-من-فيلم-احمر-شفايف



مع رفيق عمره بديع خيري



مع – تحية – كاريوكا – في – لعبة – الست



مع–سليمان–نجيب



مع–سليمان–نجيب–وليلى–مراد



مع-عبد-الفتاح-القصري



مع-ليلى-مراد



ملك-الكوميديا



من فيلم سلامة في خير



من-فيلم-سلامة-في-خير



نجيب الريحاني في لقطة من مسرحية «قسمتي»



صورة من عزاء الريحاني

الفنان الذي اضحكنا بجراحات قلبه !.



قال جلالة الملك

عندما تشرف الوزراء بمقابلة جلالة الملك يوم الاربعاء الماضي تحدث جلالة الملك المعظم عن المرحوم نجيب الريحاني فقال :

•

اني احزن عندما افقد بلادي رجلا ممتازا . ولقد حزنت كثيرا بفقد نجيب الريحاني الرجل الذي خدم مصر ، واحب مصر، واحبته مصر ولذا اوفدت مندوبا لتشييع جنازته واني على يقين ان الشعب مقدر لهذا الرجل خدماته وان جنازته ستكون شعبية .

•

وقد اصدر حضرة صاحب المعالي وزير المعارف نزولا على التوجيهات الملكية امرا بعمل لوحة تذكارية بدار الاوبرا الملكية للمغفور له الاستاذ نجيب الريحاني نظرا لما اداه من خدمات للفنون المسرحية ولما كان يتجه اليه دائما نحو الاصلاح الاجتماعي .

نعي الملك فاروق



الوداع الاخيرة وزوجته بديعه مصابني تبكيه

الفهرس